

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة محمد خيضر - بسكرة -
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
قسم العلوم الاجتماعية



المعتقدات والأساطير المرتبطة بطقس الاستمطار "
تاسليث نو أنزار" بين الدين والسحر
دراسة أنثربولوجية

مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر في الأنثربولوجيا

تخصص أنثربولوجيا ثقافية واجتماعية

إشراف الأستاذ:

إعداد الطالبة:

– شالة عبد الرحمان

– شرقي خولة

السنة الجامعية: 2017 م/2018م

شكر وتقدير

أحمد الله سبحانه وتعالى الذي وفقنا في إنجاز هذه المذكرة

واشكر الأستاذ المشرف "عبد الرحمان شالة"

واشكر كل من ساعد على إنجاز هذا العمل من قريب او بعيد

إهداء

الى كل طالب للعلم

الطالبة: " خولة "

خطة البحث

مقدمة

الفصل الأول: الإطار المنهجي والمفاهيمي

أولاً: الإشكالية

ثانياً: أهداف الدراسة

ثالثاً: أهمية الدراسة

رابعاً: أسباب اختيار الموضوع

خامساً: تحديد مفاهيم الدراسة

سادساً: الدراسات السابقة

سابعاً: المجال الزمني للدراسة

ثامناً: المجال المكاني للدراسة

تاسعاً: المجال البشري للدراسة

عاشراً: مجتمع وعينة الدراسة

إحدى عشر: منهج وأدوات الدراسة

الفصل الثاني: المعتقدات الدينية و السحرية الأولى

المبحث الأول: الدين في المجتمعات الأولى

المطلب الأول: نشأة الدين

المطلب الثاني: تطور المعتقدات الدينية

المطلب الثالث: المكونات الأساسية للدين

المبحث الثاني: بين السحر و الدين

المطلب الأول: نشأة السحر

المطلب الثاني: مبادئ السحر

المطلب الثالث: المكونات الأساسية للسحر

الفصل الثالث: بين الأسطورة و الطقس

المبحث الأول: ماهية الأسطورة

المطلب الأول: نشأة الأسطورة

المطلب الثاني: أنواع الأسطورة

المطلب الثالث: خصائص الأسطورة

المطلب الرابع: وظائف الأسطورة

المبحث الثاني: مفاهيم حول الطقس

المطلب الأول: الطقس والأسطورة

المطلب الثاني: الطقس والمعتقد

المطلب الثالث: أنواع الطقوس

المطلب الرابع: وظائف الطقوس

الفصل الرابع: أساطير وطقوس الاستمطار "تاسليث نو أنزار" و المعتقدات المرتبطة

بها

المبحث الأول: تحليل الأساطير المرتبطة بطقس الاستمطار "تاسليث نو أنزار"

المطلب الأول: نص أسطورة "تاسليث نو أنزار"

المطلب الثاني: خصائص أسطورة "تاسليث نو أنزار"

المطلب الثالث: أسباب ضياع الأساطير في شمال إفريقيا

المبحث الثاني: تحليل الطقوس المرتبطة بطقس الإستمطار "تاسليث نو أنزار"

المطلب الأول: وصف طقوس الإستمطار "تاسليث نو أنزار"

المطلب الثاني: تحليل طقوس الإستمطار "تاسليث نو أنزار"

المطلب الثالث: طقوس الإستمطار و طقوس الزواج

التحقق من الفرضيات

النتائج

خاتمة

مقدمة

لقد شكل موضوع الدين محورا أساسيا في الدراسات الأنثروبولوجية خاصة والدراسات الإنسانية بشكل عام، على الرغم من صعوبة دراسته لما يحفه من قداسة في المجتمعات الإنسانية. فقد درس الأنثروبولوجيون الدين من الجانب الثقافي، فهناك من درس الدين من منظور تطوري، هذا الاتجاه يعتبر أن دراسة المجتمعات البسيطة أو البدائية هو بمثابة تتبع لما كان عليه أسلافنا في الأزمنة التاريخية القديمة، ودرسه آخرون من حيث وظيفته في المجتمع، وهكذا تعددت المدارس والمدرّوس واحد. كما خلص معظم الأنثروبولوجيين إلى أن مفهوم الإيمان بقوى فوق طبيعية، ووجود تصورات مثيولوجية حول خلق الكون كانت موجودة بصورة أو بأخرى في كل المجتمعات البشرية، من أكثرها تعقيدا وتطورا إلى أكثرها بساطة. وتحدثنا عن الدين لابد أن نتحدث عن السحر، لكونهما لطالما ارتبطا معا على مر العصور بشكل أو بآخر.

وشعوب شمال إفريقيا باعتبارها جزء من هذا المجتمع الإنساني فقد عرفت الدين، وتعاقبت عليها عدة ديانات، وفي موضوعنا هذا ركزنا على دين المجتمعات البسيطة.

لقد درس عدد من الإثنولوجيين الدين في شمال إفريقيا، حيث اهتموا بالطقوس الشمال إفريقية، ونقبوا عن الروايات الميثية، لغرض الكشف عن الظاهرة الدينية في الشمال الإفريقي، وتباينت تحليلاتهم ووجهات نظرهم حول ذلك، وفي هذا العمل خصينا بالاهتمام طقس شمال إفريقي ضارب في القدم، يعرف انتشارا واسعا في شتى ربوع شمال أفريقيا، وهو طقس الاستمطار المعروف بـ"تاسليث نو أنزار"، وهو طقس يقام وقتما جفت الأرض، واحتاج السكان إلى الماء لأعمال الزراعة، ولدراسة هذا الموضوع خصصنا أربع فصول كالتالي:

- ❖ **الفصل الأول:** وضعنا فيه الإطار المنهجي للدراسة من عرض للإشكالية، أهداف الدراسة، أهمية الدراسة، أسباب اختيار الموضوع، تحديد مفاهيم الدراسة، الدراسات السابقة، الدراسة الاستطلاعية، مجتمع وعينة الدراسة، منهج وأدوات الدراسة.
- ❖ **الفصل الثاني:** خصصناه لعرض المعتقدات الدينية والسحرية الأولى، والمتمكون من مبحثين المبحث الأول حول الدين في المجتمعات الأولى، والمبحث الثاني بين السحر والدين.
- ❖ **الفصل الثالث:** خصصناه للأسطورة والطقس وبه مبحثان الأول حول الأسطورة والثاني حول الطقس.

❖ **الفصل الرابع:** وهو فصل مخصص لوصف وتحليل طقوس الاستمطار "تاسليث نو أنزار" وبه مبحثين، الأول مخصص لوصف الأساطير وتحليلها والثاني مخصص لوصف الطقوس وتحليلها.

الفصل الأول:

الإطار المنهجي

والمفاهيمي

تمهيد:

خصص هذا الفصل المنهجي لتوضيح الخطوات المنهجية في إجراء البحث من طرح للإشكالية ووضع الفرضيات، وكذا توضيح لأسباب اختيار الموضوع وأهميته وأهدافه بالإضافة إلى تحديد أهم مفاهيم الدراسة وكذا مراجعة الأدبيات وأخيرا توضيح كيفية توظيف المنهج الذي اتبعناه في الدراسة وكذا أدوات البحث.

إن النظرة الفاحصة لتاريخ وجغرافية دين الإنسان، تكشف لنا عن بنية موحدة للدين. تقوم هذه البنية على عدد من العناصر أو المكونات، بعضها أساسي لا نستطيع التعرف على الظاهرة الدينية بدونه ألا وهي "المعتقدات الأساطير والطقوس"¹. فأما المعتقد فكما يعرفه فراس السواح « هو أول أشكال التعبيرات الجمعية عن الخبرة الدينية الفردية التي خرجت من حيز الانفعال العاطفي إلى حيز التأمل الذهني... »² و أما الأسطورة فتناولها مرسيا إلياد باعتبارها « أحداثا تاريخية حدثت في الزمن السحيق فهي تروي تاريخا مقدسا، تروي حدثا جرى في الزمن البدائي، الزمن الخيالي، هو زمن البدايات؛ فالأسطورة تحكي لنا كيف جاءت حقيقة ما إلى الوجود بفضل مآثر اجترحتها الكائنات العليا، لا فرق بين أن تكون هذه الحقيقة كلية كالكون أو جزئية كأن تكون جزيرة أو نوعا من النبات، أو مسلكا يسلكه الإنسان أو مؤسسة... »³. وأما الطقوس فكما يعرفها علماء الانثروبولوجيا الاجتماعية هي « مجموعة حركات سلوكية متكررة يتفق عليها أبناء المجتمع وتكون على أنواع وأشكال مختلفة تتناسب والغاية التي دفعت الفاعل الاجتماعي أو الجماعة للقيام بها »⁴. وبتحدثنا عن الطقوس فمن الطقوس المعروفة في شمال أفريقيا بمختلف أبحاثها ومناطقها سواء الناطقة بالأمازيغية أو بالعربية العامية، الطقس المعروف بـ(تاغنا) أو تاسليت أونزار (بزاي مفخمة) أي عروس المطر الذي يعد من أقدم الشعائر الاستسقائية، ويهدف إلى استمطار السماء حين تكون الأرض والمحاصيل مهددة بالجفاف والتلف وشح المياه. وتتشابه طريقة ممارسة الطقس بعناصرها الرئيسية في مختلف المناطق، ولم يتم تسجيل إلا اختلافات شكلية طفيفة جدا.

أجرى العديد من المستمزيين الفرنسيين دراسات لهذا الطقس وتباينت وجهات نظرهم حول الموضوع، « فهذا لاووست Laoust المعروف ببحثه الانتوغرافي المطول في هذا المجال يدرك أن هذه الطقوس الزراعية المقترنة بالتجدد والبعث، تأتلف فيها عناصر ميث لم يتمكن الأمازيغ حسب رأيه من بلورتها، إذ يذهب إلى أن الشعوب الأخرى غيرهم، قد تمكنت من أن تستخلص من طقوسها الزراعية المرتبطة

¹ فراس السواح، دين الإنسان، بحث في ماهية الدين ومنتشأ الدافع الديني، ط 3، دمشق 1998 (ط 1، 1994)، ص 48.

² فراس السواح، المرجع السابق، ص 48.

³ مرسيا إلياد، مظاهر الأسطورة، ترجمة نهاد خياطة، دمشق 1987، ص 10-11.

⁴ 1998, MARTINE SEGALEN :« Rites et Rituels Contemporains» , Éditions Nathan, Paris,

ينمو النبات والخصوبة خصوصا رمزية بارزة جليئة على غرار Isis و Demeter و Osiris و eus وغيرها، وهو نفس الرأي يشاطره تقريبا هنري باسي Henri Basset ، إذ يذهب بدوره إلى أن الطقوس الزراعية من مثل زواج تاسليث "الأرض" بـ"إيسلي أنزار" لدى الأمازيغ قد أفسح المجال للميث على نحو مثير (لدى شعوب أخرى طبعا)، إذ أبدعت مصر وسوريا واليونان وآسيا الصغرى حول موضوعات من هذا الصنف أعظم وأكثر الدورات الميثية (الأسطورية) اكتمالا مما نقلته إلينا العصور القديمة. أما لدى الأمازيغ، فلا ميث، لا شيء سوى الطقس، إنهم لم يعرفوا (حسب اعتقاده) كيف يستخلصون من هذه الممارسات السحرية المحاكاتية التي يعينون بها قوى الطبيعة على إتمام عملها التخصيلي والبعثي إليها أو آلهة أو بطلا يمتلك فعليا شخصيته المحددة أو أسطورته، [...] أما هنري باسي H.basset فيصرح بأن الأمازيغ ومع كل ما لديهم من عناصر بناء الميث، إلا أنهم لم يتعدوا أساسات البناء، وتركوا الحجارة مبعثرة...»¹

فهؤلاء الباحثون يكادون ينفقون على أن طقوس "تاغنا" تنطوي على عناصر أسطورة لم ترتق لتشكّل أسطورة كاملة².

مما سبق نستنتج أن العناصر الأساسية المكونة للدين تتجلى في ممارسات طقس الاستسقاء، من معتقد وطقس غير أن هنالك غيابا مزعوما للأسطورة فهي مجرد "عناصر أسطورية" مما يجعلها أقرب إلى الممارسات السحرية.

وهنا نطرح التساؤل الرئيسي التالي: هل شكلت ممارسات طقس الاستمطار ظاهرة دينية؟

للإجابة على هذا التساؤل لا بد من طرح التساؤلات الفرعية التالية:

- هل تبلورت العناصر الميثية المتعلقة بالطقس لتشكّل أسطورة؟
- هل تحورت الأسطورة في طقس الاستمطار مع مرور الزمن؟

➤ **الفرضيات:**

- لقد تبلورت عناصر الميث مشكلة أسطورة.
- لقد تحورت الأسطورة ولم تتبق سوى عناصر الميث.

¹ محمد أوسوس، دراسات في الفكر الميثي الأمازيغي، المهد الملكي للثقافة الأمازيغية، 2007، ص 9-10.

² محمد أوسوس، مرج سابق، ص 10

➤ أهداف الدراسة:

- محاولة للكشف عن جزء من التراث الشمال أفريقي وحفظه.
- محاولة لفهم تاريخ ذهنيات المجتمع الشمال أفريقي.
- محاولة تزويد مجال الأنثروبولوجيا الدينية بدراسة جديدة.
- التأسيس لرؤية أنثروبولوجية للتراث اللامادي الشمال أفريقي.

➤ أهمية الدراسة:

- معرفة عناصر الميثولوجيا التي لازالت تشكل جزءا لا يتجزأ من الحقل الثقافي المغاربي تمكن من معرفة الحاضر.
- جمع ماتبقى في الذاكرة الجمعية من ميثولوجيا وطقوس قبل اندثارها.
- إضافة مرجع في الدراسات الثقافية لمنطقة لشمال إفريقيا.
- التمكن من فهم جزئي لطبيعة الإنسان والمجتمع المغاربي وبنيته الفكرية وذلك من خلال التعبيرات الشفوية والميث والحكاية والأسطورة والأحاجي والغناء هي السبيل الوحيد لقراءة المجتمعات الموسومة بالشفاهية.
- تعكس هذه الطقوس والأساطير والمعتقدات أسس الثقافة المغاربية الممتدة في القدم، فمن خلالها يمكن أن نستنتج علاقة المغاربي بالكون والطبيعة والظواهر حوله ونظرتة إلى الفضاء والزمان والمجهول وصلته بمجتمعه وبال بشرية عموما.
- البحث في الميثولوجيا والمعتقدات يكشف لنا عن المكبوتات وعن الأمور المسكوت عنها في المجتمع بقصد أو بدون قصد والتي تشكل أصل إنتاج الثقافة.

➤ أسباب اختيار الموضوع:

- الميل لدراسة مواضيع الأنثروبولوجيا الدينية.
- الميل لاستكشاف ودراسة التاريخ الثقافي الشمال افريقي.
- تعرُّض التراث الشمال إفريقي للتهميش.
- جمع ما تبقى من التراث قبل الضياع والاندثار.
- التأسيس لفهم علمي للممارسات "الدينية السحرية" القديمة بالمنطقة بالتالي فهم تاريخ المجتمع حاضره.

➤ تحديد مفاهيم الدراسة:

أولاً: تعريف المعتقد

1- المفهوم اللغوي للمعتقد:

«... الاعتقاد لغة هو التصديق بالأمر والإيمان به، وهو من الفعل اعتقد، ويقال اعتقد بالشيء، أي أفقع به وأثبت له..»¹ أي الجزم والقطع و التصديق بدون شك.
«... والعقيدة هي الحكم الذي لا يقبل الشك فيه لدى معتقده، والاعتقادية أو الوثوقية أو القطعية أو التوكيدية وهي كل ما يدركه العقل للوصول إلى اليقين وهي ضد الريبية (أي الشك) والانتقادية، و قد يطلق لفظ الوثوقي و التوكيدي تهكما على من يعتصب لرأي ويسلم به دون تمحيص و يحاول فرضه على غيره دون برهان...»².

2- المفهوم الاصطلاحي للمعتقد:

يعرف "غينوبير" العقيدة ب «...هي أقوال لاهوتية تفصح عن معتقدات بيئة ما في زمن ما، وهذه المعتقدات تتعلق بأمور دينية سلمت بصحتها السلطات الروحية، وأمرت بالقول بها كأنها منهج الحق...»³
فالمعتقدات ليست من صناعة رجال الدين بل هي مزروعة في صميم المجتمع، أما السلطات الدينية فتعمل على إعطائها الشرعية اللازمة والباسها ثوب القداسة.

3- مفهوم المعتقد الشعبي:

«...يطلق لفظ الشعب على الجماعة الخاضعة لنظام اجتماعي واحد، و على الجماعة التي تتكلم لغة واحدة، و تدل صفة شعبي على كل ما له علاقة بالشعب، و يراد بالشعب العامة من الناس، كأبناء الطبقات الفقيرة من العمال و الفلاحين و غيرهم ...»⁴ أي كل ما اتصل بعامة الناس من ممارسات ومعتقدات، أيضا الشعبي هو «... المنسوب إلى الشعب فنقول الثقافة الشعبية، الجمهوريات الشعبية، والمعتقدات الشعبية، أي كل ممارسة أو فكر أو تنظيم عمل له علاقة مباشرة بالشعب...»⁵ و يرى محمد

¹ ابن منظور، "لسان العرب"، المجلد الثالث، دار صادر، ط1، بيروت، 1992، مادة عقد، ص301.

² جميل صليبيبا، "المعجم الفلسفي"، ج2، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1982، ص93.

³ يوسف شلحت، نحو نظرية جديدة في علم الاجتماع الديني، ط1، دار الفرابي، بيروت، 2003، ص72.

⁴ جميل صليبيبا، "المعجم الفلسفي"، ج1، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1982، ص702.

⁵ جميل صليبيبا، المرجع السابق، ص702.

الجوهري أن «...المعتقدات الشعبية التي يؤمن بها الشعب فيما يتعلق بالعالم الخارجي والعالم فوق الطبيعي...»¹، و يعرف فراس السواح المعتقد الشعبي على أنه «...أول أشكال التعبيرات الجمعية عن الخبرة الدينية الفردية التي خرجت من حيز الانفعال العاطفي إلى حيز التأمل الذهني...»². فالمعتقد هو أمر جمعي تتبناه الجماعة وتجسده على شكل ممارسات وطقوس معينة.

ثانياً: تعريف الأسطورة

1- المفهوم اللغوي للأسطورة:

«... واحد الأساطير : أسطورة، كما قالوا أحداثاً وأحاديث والأساطير : أباطيل. والأساطير : أحاديث لا نظام لها واحدها إسطار وإسطارة بالكسر، وأسطير وأسطيرة وأسطور وأسطورة بالضم...»³.

2- المفهوم الاصطلاحي للأسطورة:

جاء في قاموس علم الاجتماع أن الأسطورة هي: «... تفسير أو قصة رمزية تروي حادثة غريبة، أو خارقة للطبيعة، توجد في ثقافة فرعية، وتتميز الأسطورة بتناقلها، وانتشارها على نطاق واسع، وتأثيرها العميق نتيجة ما تنطوي عليه من حكمة، وفلسفة وإثارة وإلهام...»⁴، إن التعريف السابق قد لا يخص الأسطورة بمفردها بل يشمل الخرافة أيضاً وغيرها من الأنواع الأدبية المشابهة، وبيحثنا عن تعريف أنثروبولوجي للأسطورة نجد برنسلو مالنوفسكي مثلاً حاول أن يضع تعريفاً للأسطورة من خلال استخلاص طبيعتها ووظيفتها في المجتمعات البدائية بقوله: «... ليست الأسطورة تفسيراً يراد منه تلبية فضول علمي، بل هي حكاية تعيد الحياة إلى حقيقة أصلية، وتستجيب لحاجة دينية عميقة، وتطلعات أخلاقية وواجبات وأوامر على المستوى الاجتماعي، بل وحتى متطلبات عملية في الحضارات البدائية، تملأ الأسطورة وظيفة لا غنى عنها تفسر وتبرر وتقنن المعتقدات، تحامي عن المبادئ الأخلاقية وتفرضها، تضمن فعالية الاحتفالات الطقسية وتنتج قواعد عملية لاستعمال الإنسان...»⁵. ومنه فالأسطورة مكون جوهري في الحضارة الإنسانية، فهي تفسير للطقوس الدينية وللعتادات والمعتقدات، وتعتبر وسيلة لترسيخ المبادئ الأخلاقية الخاصة

¹ محمد الجوهري، الدراسة العلمية للمعتقدات الشعبية، ط1، دار الكتاب، القاهرة، 1978، ص 42.

² فراس السواح، دين الإنسان، بحث في ماهية الدين ومنتشاً الدافع الديني، ط 4، دار علاء الدين، دمشق، 2002، ص 47.

³ ابن منظور، "لسان العرب المحيط"، ج7، 2003، مادة سطر، ص 182.

⁴ محمد عاطف غيث، "قاموس علم الاجتماع"، دار المعرف الجامعية، ص 296.

⁵ محمد الخطيب، "الإثنولوجيا" دراسة عن المجتمعات البدائية"، دار علاء الدين للنشر والتوزيع، ص 194.

بمجتمع ما؛ وإذا كان مالفينوفسكي قد تعرض إلى الأسطورة بالنظر إلى جانبها الوظيفي فإن مرسيا إلياد تناولها باعتبارها «... أحداثا تاريخية حدثت في الزمن السحيق، فالأسطورة تروي تاريخا مقدسا، تروي حدثا جرى في الزمن البدائي، الزمن الخيالي، هو زمن البدايات؛ فالأسطورة تحكي لنا كيف جاءت حقيقة ما إلى الوجود بفضل مآثر اجترحتها الكائنات العليا، لا فرق بين أن تكون هذه الحقيقة كلية كالكون أو جزئية كأن تكون جزيرة أو نوعا من النبات، أو مسلكا يسلكه الإنسان أو مؤسسة...»¹، فالأسطورة تفسير للوجود بالنسبة للإنسان القديم. فهي تروي لنا كيف كان إنتاج شيء ما وكيف كانت بدايته أما أشخاصها فهم كائنات عليا (آلهة، أو أنصاف آلهة) بمعنى كانت الأسطورة بمثابة جواب عن السؤال: كيف خلق ذلك الشيء؟ وبالأسطورة أيضا «... يمكن التعرف على أصل الأشياء ليتمكن الطقس الديني من إعادة تكراره، ذلك أن الطقس يقوم بإعادة تكرار حدوث الخلق الذي يمكن الإنسان من الاتصال بالآلهة وبزمن الخلق الأول...»². وفي مقابل هذا نجد ماريت يقول إن «... الأسطورة ليست بحثا عن الأسباب وإنما هي كفالة للدين وضمان وليست غايتها أن ترضي الفضول بل أن تؤكد الإيمان...»³.

أي أن للأسطورة غايات في ترسيخ الإيمان أكثر منها في تفسير الوجود.

ثالثا: تعريف الطقس

1- المفهوم اللغوي للطقس:

جاء في معجم الغني: «طقس: جمع طقوس. الطقس عند المسيحيين»: نظام العبادات الدينية و أشكالها، شعائرها و احتفالاتها»⁴. وجاء في معجم اللغة العربية المعاصر: «طقس: جمع طقوس نظام و ترتيب، و أكثر ما يستعمل لنظام الخدمة الدينية أو شعائرها و احتفالاتها» عند النصارى طريقة دينية في الصلاة وإقامة الشعائر طقوس دينية، - لهذه الطائفة طقوس خاصة - ممارسات طقسية⁵.

¹ مرسيا إلياد، مظاهر الأسطورة، ترجمة نهاد خياطة، دمشق 1987، ص 10-11.

² عمر محمد صبحي عبد الحي، الفكر السياسي وأساطير الشرق الأدنى القديم، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ص 35.

³ إ. أجيمس، الأساطير والطقوس في الشرق الأدنى القديم، ترجمة يوسف شلب الشام، دار التوحيدي للنشر، الطبعة الأولى 1998، ص 21.

⁴ عبد الغني أبو العزم، "معجم الغني"، عين الشف، دار البيضاء، فهرسة وتنسيق فؤاد زكرانة، 2013، مادة طقس.

⁵ أحمد مختار عمر، "معجم اللغة العربية المعاصر"، ج 1، عالم الكتب، القاهرة، ط 2008، 1، مادة طقس.

2- المفهوم الاصطلاحي للطقس:

الطقوس كما يعرفها علماء الأنثروبولوجيا الاجتماعية هي: « مجموعة حركات سلوكية متكررة يتفق عليها أبناء المجتمع وتكون على أنواع وأشكال مختلفة تتناسب والغاية التي دفعت الفاعل الاجتماعي أو الجماعة للقيام بها»¹

نلاحظ تأكيد الباحثين على البعد الاجتماعي للطقس وما يعطي القوة للطقوس ليس هدفه الحقيقي، وإنما قدرته على تمتين تماسك الجماعة التي تقيمه. يذهب فراس السواح إلى أن الطقس: « هو الحالة الانفعالية التي تصاحب الأسطورة حيث تولد الخبرة الدينية المباشرة حالة انفعالية، قد تصل في شدتها حدًا يستدعي القيام بسلوك ما، من أجل إعادة التوازن إلى النفس والجسد، اللذين عبرت التجربة عن حالتها الاعتيادية، ولعل الإيقاع الموسيقي والرقص الحر كانا أول أشكال هذا السلوك الاندفاعي الذي تحول تدريجيًا إلى طقس مقنن، ويطرافق تقنين الطقس وتنظيمه في أطر محددة ثابتة مع تنظيم التجربة الدينية وضبتها في معتقدات واضحة يؤمن بها الجميع، ويرون فيها تعبيرًا عن تجاربهم الفردية والخاصة وبذلك يتحول الطقس من أداء فردي حر إلى جمعي ذي قواعد وأصول مرسومة بدقة... »².

رابعاً: تعريف السحر

1- المفهوم اللغوي للسحر:

جمع أسحار "لغير المصدر" وسحور "لغير المصدر". كل أمر يخفى سببه، ويتخيل على غير حقيقته، ويجري مجرى التمويه والخداع، إخراج الباطل في صورة الحق، استخدام القوى الخارقة بواسطة الأرواح³.

2- المفهوم الاصطلاحي للسحر:

يذهب الباحث الألماني أدولف آرمان، المتخصص في المصريات، في كتابه ديانة مصر القديمة إلى أن «السحر نبت وحشي في واحة الدين. وهو عمل يهدف إلى التغلب على القوى التي تتصرف في مصير الإنسان. وإنه من الخير أن نتعرف كيف يمكن أن ينشأ الاعتقاد بإمكان القيام بمثل هذا العمل قد يبدو أن

¹ MARTINE SEGALEN : « Rites et Rituels Contemporains », Éditions Nathan, Paris, 1998, P 08.

² فراس السواح، دين الإنسان، بحث في ماهية الدين ومنشأ الدافع الديني، ط 4، دار علاء الدين، دمشق، 2002، ص 52-53.

³ لبيد بن ربيعة، "ديوان البيان"، ط 188، مكتبة الجاحظ والصاح، (سحر)، ص 197

الإله قد استجاب للدعاء تارة ولم يستجب إلى الدعاء تارة أخرى، وعند ذلك يطرأ قسراً على الفكر أن العبارة التي صيغ فيها الدعاء أول مرة قد لقيت عند الإله قبولاً خاصاً؛ لذلك يعد هذا التركيب أفضل تركيب من نوعه ويغدو صيغة لا يلبث الإنسان أن يعتقد أنّ لها مفعول لا يخيب، وأنها تقهر القدر»¹.

فالسحر بعكس الدين الذي يعتبر تضرعاً وخضوعاً لقوى الطبيعة، هو محاولة لتسخير قوى الطبيعة للمصالح الشخصية، بينما تمارس الطقوس الدينية بغية المنفعة الجماعية عادة.

خامساً: تعريف الدين

1- المفهوم اللغوي للدين:

نجد عند ابن منظور في " لسان العرب " المعاني التالية: القرض، الجزاء والمكافأة، الحساب، الطاعة والذل والاستعباد، العادة والشأن والحال، الملك والسلطان والقهر، الورع.²

2- المفهوم الاصطلاحي للدين:

تختلف تعاريف الدين من ميدان لآخر باختلاف الرؤى و النظريات، وقد تتناقض التعريفات في المجال نفسه وذلك لصعوبة تحديد هذا المفهوم، وفي محاولتنا هذه في ضبط تصور للدين سوف نركز على تعاريف الفلاسفة و علماء الاجتماع وعلماء النفس والأنثروبولوجيا وعلى رأسهم برونسيلا مالمينوفسكي الذي وضح أن نظريات الأنثروبولوجيا التطورية آنذاك لم تعطي تعريفاً وافياً للدين في قوله «... لقد تركتنا دراستنا التاريخية للنظريات (حيارى) نوعاً ما إزاء فوضى في الآراء واختلاط في الظواهر، في حين أنّه كان من الصعب أن نقبل في تحديد شامل للدين الأشياء التالية واحداً تلو الآخر؛ الأرواح والأشباح، والطوطمات والأحداث الاجتماعية، والموت والحياة، إلى أن صار واضحاً أنّ الدين في هذه العملية أصبح شيئاً غامضاً أكثر فأكثر، إنّهُ كلّ شيء ولا شيء على حدّ سواء...»³.

وكما سبقت الإشارة فإن السؤال المحير يبقى هو: ما هو الدين؟ يقول هنري برجسون في هذا الصدد «...الدين إنما هو رد فعل دفاعي تقاوم به الطبيعة قول العقل باستحالة اجتناب الموت ورد الفعل هذا يعني المجتمع كما يعني الفرد لا لأن المجتمع يستفيد من جهد الفرد ولا لأن هذا الجهد يتجاوز حدود الذات إذا

¹ أودلف آرمان. ديانة مصر القديمة، ترجمة عبد المنعم أبو بكر ومحمد أنور شكري، مكتبة مدبولي، ط1، القاهرة، 1995، ص 395.

² ابن منظور، "لسان العرب"، المجلد5، دار صادر، طبعة1، بيروت، 2000، ص 338.

³ برنسلو مالمينوفسكي، السحر والعلم والدين، ترجمة فيليب عطية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط1، 1995، ص36.

لم تعرقل فكرة الفناء وثبته، لا لهذا فحسب بل أيضا وعلى الأخص لأنه هو نفسه يشعر بالحاجة إلى الاستقرار والدوام إن المجتمع تدعمه قوانين ومؤسسات وصروح تتحدى الزمن أما المجتمعات البدائية فهي مبنية على بشر وحسب، فما عسى أن تكون سلطتها إذا لم يعتقد ببقاء الأفراد الذين يؤلفونها إذن فليبقى الأموات أحياء...¹ «. بمعنى أن الإنسان أدرك حقيقة الموت، وأنه سيموت لا محال يوما ما - هذا على عكس الحيوان الذي لا يدرك أنه سيموت - هذا ما جعله يفكر في حياة بعد الموت كرفض للموت وهكذا كانت بداية المعتقدات الدينية، كما أن المجتمع الحديث مجتمع مؤسسات فمن يتبنى فيه السلطة الدينية هي المؤسسات الدينية، أما المجتمع البدائي فيقوم على الأفراد لذلك كانت عبادة الأفراد بعد موتهم كرفض لغيابهم وهكذا كانت عبادة الأسلاف من أولى الديانات، كما يذهب إلى ذلك سيجموند فرويد في كتابه الطوعم والتابو وفي سياق حديثه عن الأرواحية أي الإيمان بأن العالم مسكون بالأرواح الخيرة والشريرة يعتقد «... أن مشكلة الموت كانت هي منطلق التنظير، فبالنسبة للبدائيين كان استمرار الحياة - الخلود - هو الشيء البديهي أما تصور الموت فجاء بعدئذ ولم يتم تقبله إلا بتردد، بل إنه حتى بالنسبة لنا ما زال خالي المضمون وصعب الاستيعاب...²». وبالتالي فالموت تهديد للمجتمع عامة وليس لأفراد محددين

سادسا: تعريف طقس الإستمطار "تاسليث نو أنزار"

1- المفهوم اللغوي لتاسليث نو أنزار أو تلغنا:

أنزار جمعه نئوزار: المطر بالأمازيغية.³

تاسليث: كلمة أمازيغية بمعنى عروس.⁴

تلغنا: كلمة أمازيغية بمعنى ملعقة.

2- المفهوم الاصطلاحي لطقس لتاسليث نو أنزار أو تلغنا:

عروس المطر يعد من أقدم الشعائر الاستسقائية بشمال إفريقيا، ويهدف إلى استمطار السماء حين

¹ هنري برجسون، منبع الأخلاق والدين، ترجمة سامي الدروبي وعبد الله عبد الدائم، دار القلم للملايين بيروت-لبنان الطبعة 1 القاهرة 1945. ص 143، 144.

² سيجموند فرويد، الطوعم والتابو، ترجمة بوعلي ياسين، ط1، دار الحوار سوريا اللانقية، 1983، ص 98.

³ محمد شفيق، "المعجم العربي الأمازيغي"، أكاديمية المملكة المغربية، ص 39.

⁴ محمد شفيق، المرجع السابق، ص 128.

تكون الأرض والمحاصيل مهددة بالجفاف والتلف وشح المياه¹. مدار الطقس هو أسطورة أنزار إله المياه والأمطار عند الأمازيغ، اسمه حرفيا يعني مطر، ملخصها أن فتاة عذراء كانت شديدة الجمال، مغرمة بالماء، فكانت تخرج كل يوم إلى النبع حيث البحيرة العذبة، فتلعب وتغتسل وفي المساء تعود، وكان الإله أنزار يراقبها كل يوم، ووقعت في نفسه موقعا حسنا فأحبها، وذات يوم أظهر نفسه لها، وخطبها لنفسه، وتحت الصدمة والحياء، والخوف من رد فعل الناس رفضت الفتاة، فصعد أنزار إلى السماء ومنع مياهه، فتوقف المطر، وجفت الأنهار، وعم الجفاف، فجاء الناس من كل منطقة يرجون الفتاة أن تقبل عرض أنزار، قبلت في الأخير، فألبسوها وأخذوها إلى البحيرة يزفونها عروسا لإله المطر أنزار، نزل أنزار من علياه سعيدا، فأخذ عروسه وعاد إلى السماء، وصارت عروسه تظهر معه في كل مرة يحضر، فهي قوس قزح المعروف عند الأمازيغ ب هسليث نو أنزار. كلما بدأ الجفاف يخرج الأمازيغ بمجسم يلبسونه في طقس إحتفالي يشبه العرس، توزع الحلوى واللوز على الصغار، ثم يخرج الموكب باتجاه أقرب واد أو نبع ماء، تُرف فيه العروس مجددا لأنزار مرددين أهازيج كثيرة².

➤ الدراسات السابقة

أولا: الدراسات الجزائرية

1- دراسة شهيرة بوخنوف:

دراسة شهيرة بوخنوف "أساطير وطقوس الاستسقاء واستقبال الربيع" سنة 2012، البحث رسالة ماجستير في موضوع وضع أساطير وطقوس الاستسقاء واستقبال الربيع عند فئة الناشئة المتعلمة في واقعا المعاصر. استخدمت المنهج الإثنوغرافي وقد شمل مجتمع الدراسة منطقة خراطة إحدى دوائر ولاية بجاية كما تكونت أدوات الدراسة من الملاحظة بالمشاركة، المقابلة الفردية والجماعية وكذا الاعتماد على الإخباريين إضافة إلى أدوات التسجيل.

كان من أهم النتائج التي توصلت إليها أن ممارسات طقس "أنزار" أصبحت عند أغلب الناس ممارسة سطحية شكلية تأثرا ببعض الأفكار الإسلامية فأصبحت تخلو من مظاهر الإيمان ومن ثم خلوها من صفة

¹ محمد أوسوس، دراسات في الفكر الميثي الأمازيغي، المهد الملكي للثقافة الأمازيغية، 2007، ص 9-10.

² محمد أوسوس، مرج سابق، ص 10

القداسة التي لطالما صاحببتها، وهي على حافة الزوال إذ أغلب القرى لم تعد تمارسها، ورغم ذلك لا يزال مقدسا عند المسنين الحاملين الحقيقين للتراث الشعبي¹.

ثانيا: الدراسات المغاربية

1- دراسة محمد أسوس:

دراسة محمد أسوس بعنوان "دراسات في الفكر الميثي الأمازيغي" سنة 2007، يحتضن البحث موضوع الأساطير أو الميثاث الأمازيغية، إذ أنه جمع ما تبقى من نصوص هذه الميثولوجيا الأمازيغية والتي ستكون معرضة للضياع كغيرها من مظاهر الأدب الشفهي الأمازيغي، كما استخدم المنهج التاريخي، وقد شمل مجتمع الدراسة أمازيغ شمال إفريقيا. تكونت أدوات الدراسة من المقابلة المباشرة كما عمل على جمع الأعمال الإثنوغرافية وتحليل محتواها.

كان من أهم ما توصل إليه أن دراسته لهذه النصوص الميثية عكست له رؤية المجتمع الأمازيغي للعالم وكيفية تشكل الأساس الأنثروبولوجي لمتخيلها، وقدمت له المفاتيح التي تمكن من فك رموزها وأنساقها الثقافية كما مكنته من كشف ما استغلق أحيانا من الغاز وأمثال... كما إنتقد المستمزغين الذين أصدر بعضهم أحكاما تبخيسية في حق الأمازيغ تفيد بأنهم لم ينتجوا ميثولوجيا لقصور الخيال لديهم أو لعدم انشغالهم بفهم وتفسير العالم والظواهر من حولهم (h.basset) نموذجا².

2- دراسة حنان حمودا:

دراسة حنان حمودا " الماء كمنشط أنثروبولوجي لإنتاج الطقوس " سنة 2007، البحث يتناول فكرة أن الماء يشكل ظاهرة اجتماعية وثقافية بامتياز داخل كل دواوير وقرى واحة سكورة، بسبب ارتباطه بعملية إعادة إنتاج مجموعة من المظاهر السوسيو - ثقافية التي تحملها مختلف الحقول الدلالية المرتبطة به حيث استخدمت المنهج الإثنوغرافي. شمل مجتمع الدراسة دوار أولاد اعميرة واحة سكورة جنوب المغرب، وتكونت أدوات الدراسة من الملاحظة بالمشاركة، وكذا الاعتماد على الإخباريين إضافة إلى أدوات التسجيل الحديثة.

¹ شهيرة بو خروف، "أساطير وطقوس الاستسقاء واستقبال الربيع"، مذكرة لنيل درجة الماجستير في الأدب الشعبي، جامعة مولود معمري تيزي وزو، 2012، ص7-90.

² محمد أسوس، دراسات في الفكر الميثي الأمازيغي، المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية، الرباط، 2007، ص 7-27.

كان من أهم النتائج التي توصلت إليها أن الطقوس المائية الممارسة بواحة سكرة تؤدي العديد من الأدوار داخل قطار ومحطات الطقس، فهي تعيد توثيق أوصل العلاقات القرابية والعائلية، وتحيي الزمن القبلي القديم وتستحضر أحداث تاريخه الإيجابي ومفاخره.

كما أن هذه الطقوس المائية تعمل على إحياء صور المقدس الشعبي ومجالاته مثل: الأودية؛ العيون؛ الآبار؛ السواقي؛ الأضرحة... إلخ. وهو أيضاً آلية رمزية للعبور عبر الزمن الأسطوري، من العالم الواقعي المادي إلى العالم الغيبي اللامادي المتصل بالتمثيلات الدينية حول دور الفاعل "الله" وصوره¹.

ثالثاً: الدراسات الأجنبية

1- دراسة ألفرد بل:

دراسة ألفرد بل بعنوان "بعض طقوس استئزال المطر إبان الجفاف لدى المسلمين بالمغرب" سنة 1903، يحتضن البحث المشار إليه مقارنات مميزة بين الطقوس ببلاد المغرب، وبين مثيلات لها بأوروبا وأفريقيا، تسمح بالكشف عن أوجه الشبه والاختلاف بينها، وبالتالي تفسح المجال للكشف عن اتصال ممكن بين القارتين على المستوى الفكري والديني. استخدم المنهج الإثنوغرافي والمقارن ومنهج تحليل المحتوى. وقد شمل مجتمع الدراسة مقاطعة وهران في ممارستهم لطقس الاستسقاء آن ذلك. تكونت أدوات الدراسة من الملاحظة المباشرة، والاعتماد على الإخباريين وكذا تحليل المحتوى.

كان من أهم النتائج التي توصل إليها: «... ليست هذه الطقوس في غالب الأحوال إلا بقايا عادات وثنية ضاربة في القدم، تمت أسلمتها بشكل نسبي، أو مجرد نتيجة لحالة ذهنية جد بدائية»².

2- دراسة ريني باسي:

دراسة ريني باسي بعنوان "أبحاث في دين الأمازيغ" سنة 1910، بهدف البحث في أصل الأديان حيث إهتم بالعناصر المحلية التي تقوده لدين الأمازيغ حيث استخدم المسح، والمنهج الإثنوغرافي كما شمل مجتمع الدراسة مجموعة من القبائل بالجزائر والمغرب وتونس "كواد ريرع وهاراكطا وزواوا وآيث ب تعيوا وآيث يزناسن، آيث مناصر، تيط بواحات توات والغوانش".

تكونت أدوات الدراسة من أداتين هما الملاحظة المباشرة، والاعتماد على الإخباريين.

¹ حنان حمودا، "الماء كمنشط أنثروبولوجي لإنتاج الطقوس"، مجلة إضافات، 2016، ص 144-155.

² ألفرد بل، "بعض طقوس استئزال المطر إبان الجفاف لدى المسلمين بالمغرب"، ترجمة سمير آيت أمغار، جامعة القاضي عياض كلية الآداب والعلوم الإنسانية، مراكش، 2013، ص 3-30.

كان من أهم النتائج التي توصل إليها من خلال تحليله للمفردات اللغوية حيث إنطلق من أسماء قوس قزح لدى السكان، وهي تاسليت أونزار مع اختلافات فونيطيقية طفيفة من منطقة إلى أخرى، والتي تعني بالعربية (عروس المطر)، ويرى فيها أثراً لميث مفقود، إذ يقول: «... فقوس قزح ينظر إليه على أنه عروس المطر، وهذا الميث يرتبط بالكيفية التي يتم بها استثارة المطر لدى الأمازيغ بالمغرب الكبير»¹. أي طقوس تاغنا التي استعرض شعائرها لدى بعض القبائل.

3- دراسة إميل لاووست :

دراسة إميل لاووست بعنوان "Mots et Choses Berbères" سنة 1920، ركز إميل لاووست في البحث على الموكب المجدد لطقس "تاسليت أونزار" الغني بالرموز والدلالات، من خلال تفكيكه المجازي لأهم عناصر ومحددات أدوار الفاعلين الآخرين المشاركين في عملية إحياء طقس "تاسليت أونزار" داخل موكب من النساء والأطفال. استخدم المنهج الإثنوغرافي ومنهج تحليل المحتوى، وقد شمل مجتمع الدراسة منطقة سكورة وهي عبارة عن قبائل أمازيغية بالمغرب في ممارستهم لطقس الاستسقاء آن ذلك. تكونت أدوات الدراسة من الملاحظة المباشرة، والاعتماد على الإخباريين.

كان من أهم النتائج التي توصل إليها هي " التأكيد لفرضية استباق العنصر الثقافي لهذا الطقس عن العنصر الديني، بحيث إنه قديم جداً وتمتد جذوره لما قبل الإسلام. وقد أدت البنى الزراعية الراسخة بمنطقة سكورة داخل الضمير الجمعي لسكانتها، دور ترجمة مجموعة من الطقوس التفاعلية والجماعية التعبيرية، سواء في فترات انحباس المطر عن الأرض، أو عندما تنضب مياه العيون والأنهار وتجف الآبار من مياهها، عندئذ يتم إحياء طقس الاستمطار هذا من قبل القبائل الأمازيغية وأدوارها النمطية " المرأة " بالمغرب، طلباً للغيث والمطر، بواسطة استحضر شخصية وصورة "المرأة" وأدوارها النمطية المتعلقة بالخصوبة و الإثارة الجنسية مع إعادة إنتاج الرموز والدلالات نفسها التي ارتبطت بها منذ القدم².

4- دراسة هنري باسي:

دراسة هنري باسي بعنوان "L'Essai sur la littérature des Berbères" سنة 1920 لدراسة التقاليد الشفهية عند الأمازيغ.

¹ رينيه باسيت، أبحاث في دين الأمازيغ، ترجمة حمو ب شخار، دفاثر جهة نظر، ط1، 2012، الرباط، ص49-51.

² Laoust, Emile – Mots et choses berbères– Société Marocaine D'éditions– Collection Calques– Rabat– 1983. p. 344.

استخدم المنهج التاريخي المقارن، شمل مجتمع الدراسة أمازيغ المنطقة المغاربية عامة، تكونت أدوات الدراسة من الملاحظة بالمشاركة و الاعتماد على الإخباريين في جمع المادة الإثنوغرافية، كان من أهم النتائج التي توصل إليها أن الطقوس الزراعية من مثل زواج تاسليت/الأرض بـ(إيسلي أنزار) لدى الأمازيغ قد «أفسح المجال للميث على نحو مثير (لدى شعوب أخرى طبعا)، إذ أبدعت مصر وسوريا واليونان وآسيا الصغرى حول موضوعات من هذا الصنف أعظم وأكثر الدورات الميثية (الأسطورية) اكتمالا مما نقلته إلينا العصور القديمة. أما لدى الأمازيغ، فلا ميث، لا شيء سوى الطقس، إنهم لم يعرفوا- حسب اعتقاده- كيف يستخلصون من هذه الممارسات السحرية المحاكاتية التي يعينون بها قوى الطبيعة على إتمام عملها التخصصي والبعثي إليها أو آلهة أو بطلا يمتلك فعليا شخصيته المحددة أو أسطورته...»¹، لكن هذا الرأي لم يمنعه من القول بأن ورود بعض عبارات أو كلمات في اللغة، من مثل تاسليت أونزار (وهو الاسم الذي يطلق على الطقس المذكور كما يطلق على ظاهرة قوس قزح في لغة الأمازيغ) قد يشير إلى ميث لم يتح له التطور، أو بالكاد ولد ثم اختفى، وهو ما يجعله يتساءل: هل تكون تاسليت أونزار (أي قوس قزح) هي الطريق الذي يسلكه أنزار للالتحاق بعروسه الجديدة؟ وصرح بأن «الأمازيغ ومع كل ما لديهم من عناصر بناء الميث، إلا أنهم لم يتعدوا أساسات البناء، وتركوا الحجارة مبعثرة»².

5- دراسة هنري جينفوا:

دراسة هنري جينفوا بعنوان "Un rite d'obtention de la pluie" سنة 1978 لدراسة التقاليد الشفهية عند الأمازيغ. استخدم المنهج الوصفي التاريخي حيث شملت الدراسة أمازيغ آيت قاسي وآيت جناد بمنطقة القبائل بالجزائر، كما اعتمد الملاحظة بالمشاركة والاعتماد على الإخباريين في جمع المادة الإثنوغرافية كأدوات للدراسة.

كان أهم ما توصل إليه الباحث: عمل اثنوغرافي وصفي لطقس الاستسقاء كما نقل نص الأسطورة بشكل دقيق³.

¹ Basset, Henri- Essai sur la littérature des berbères (1920)- Réédition Ibis press-awal-2001. pp.178.

² Basset, Henri- Essai sur la littérature des berbères (1920). pp. 179.

³ Genevois-Un rite d'obtention de la pluie: la fiancée d'anzar-actes du 2'eme congrès International d'étude des cultures de la mediterrannée occidentale II, SNED, Algérie 1978.

➤ التعقيب على الدراسات السابقة :

تتفق هذه الدراسة مع العديد من الدراسات السابقة في استخدام المنهج التاريخي ومنهج تحليل المحتوى لبعض الأعمال الإثنوغرافية بالإضافة إلى استخدام بعض الأدوات كالملاحظة والمقابلة.

أما أهم ما يميز هذه الدراسة من خلال تناولها للموضوع من وجهة نظر الأنثروبولوجيا الدينية هو تعاملها مع هذه الممارسات كظاهرة دينية توفرت بها كل المكونات الأساسية للدين البدائي وربطها بطبيعة المجتمع، في حين ذهبت بعض هذه الدراسات إلى إصدار أحكام قيمة تبخيسية للميث "هنري باسي" أو وصف هذه الممارسات بصفة عامة "هنري جينفوا" أو دراسة الممارسات بين اليوم والأمس «شهيرة بو خنوف» وإما التركيز على وظيفتها ورمزية ممارساتها «شهيرة بو خنوف».

➤ المجال الزمني للدراسة:

استمرت هذه الدراسة قرابة الستة أشهر بين جمع المعلومات ومراجعة الأدبيات التي دونها الباحثون حول موضوع طقس الاستسقاء بالإضافة إلى تدعيم ذلك بإجراء المقابلات وكذا تدوين المعلومات.

➤ المجال المكاني للدراسة:

لم تتمركز هذه الدراسة في مجتمع بعينه بل حاولنا أن تكون شاملة لمجتمع شمال إفريقيا أو البلاد المغاربية ككل -والتي يحدها من الشمال البحر المتوسط و من الجنوب الصحراء الكبرى و من الغرب المحيط الأطلسي و شرقا مصر و هي تمتد بين خطي 18-38 درجة شمال خط الاستواء، و بين خطي طول 25 درجة شرقا و 017 غرب خط غرينيتش¹ -فحاولنا أخذ نماذج متفرقة للطقوس و الأساطير من تونس و كذا المغرب ولمناطق متفرقة من الجزائر وكانت الدراسة الميدانية بمنطقتين مختلفتين وهما:

1: بلدية بوزينة الواقعة بالجنوب الغربي لولاية باتنة وتبعد عنها بحوالي 85 كلم يحدها كل من بلديات: ثنية العابد بالجنوب الشرقي، وادي الطاقة من الشرق، لرباع وبني فضالة شمالا، عين زعطوط غربا، منعة بالجنوب الغربي².

¹ غانم محمد الصغير، مواقع و حضارات ما قبل التاريخ في بلاد المغرب القديم، دار الهدى، ط1، عين مليلة، 2003، ص 9 .

² <https://www.wilaya-batna.gov.dz>

2: بلدية تاغزوت بشمال شرق ولاية البويرة¹.

➤ المجال البشري للدراسة:

تخص الدراسة سكان شمال إفريقيا عامة باعتبار أن طقس تاسليث نو أنزار أو "تلغنجا" يعرف انتشارا واسعا في المنطقة خاصة بين "الأمازيغ" - كما شملت الدراسة الميدانية عائلتين الأولى من بلدية بوزينة ولاية باتنة وهم من "الشاوية" بالأوراس والثانية من بلدية تاغزوت بولاية البويرة بالجزائر وهم من "القبائل" أي من الأمازيغ - . و الأمازيغ هم جماعة إثنية تقطن شمال إفريقيا تتميز بلغة مميزة و ثقافة مشتركة، تعددت الآراء بشأن أصلهم ومنبتهم ولعل من أشمل الآراء هو ما ذهب إليه سالوست بأن الليبيين و الجيتول من سكان إفريقيا الأصليين إلى جانب الميديين و الأرمن و الفرس الذين جاؤوا من اسبانيا بعد موت قائدهم هرقل، فامتزج الميديون والأرمن بالليبيين، بينما امتزج الفرس بالجيتول، و نتيجة لامتزاج العرقين الأخيرين ظهر " المور " الذين عاشوا حياة الاستقرار بينما اضطر الجيتول و الفرس إلى حياة الترحال، فعرفوا ب " الرحل " و بذلك ظهرت تسميات جديدة مع الرومان الذين أطلقوها لتعيين القبائل و المناطق التي تسكنها، منها المور، النوميديين...²

➤ منهج وأدوات الدراسة:

أولا: المناهج

1- المنهج التاريخي:

يعرف هذا المنهج بأنه «... وصف للوقائع التي حصلت في الماضي وتحليلها وتفسيرها بغية اكتشاف تعميمات تساعدنا على فهم الحاضر بل التنبؤ بأشياء وأحداث بالمستقبل ويستخدم هذا المنهج في دراسة الظواهر والأحداث التي مضى عليها زمن قصير أو طويل، بغرض فهم الماضي والتنبؤ بالمستقبل من خلال دراسة الأحداث التاريخية، ويعتمد على مصادر كتبت قبل أكثر من نصف قرن...»³.

¹ <https://ar.m.wikipedia.org/wiki/>

² Sallustius Crispus, Bellum Yugurthinum, éd. Ernout, Paris , 1958 , XVII, 1-12.

³ محمد الصغير، "مقياس المنهجية لطلبة العلوم الاجتماعية والانسانية"، <https://www.elearn.niv-ourgla.dz>

تم الاعتماد على هذا المنهج في دراستنا هذه لأنها عبارة عن وصف تحليل لطقوس كانت تمارس في الماضي وكذا الحاضر بهدف الوصول لتعميمات نظرية وذلك من خلال الاستعانة بما دونه الإثنوغرافيين الذين درس هذه الطقوس منذ أكثر من نصف قرن.

ثانياً: أدوات الدراسة

1- الملاحظة:

الملاحظة من أدوات البحث التي تستخدم للحصول على معلومات تتعلق ببعض الحوادث والوقائع، ويفضل استخدام الملاحظة كأداة بحثية على غيرها من الأدوات لضمان نقل المعلومات بدقة وذلك بتدوين ما يراه الباحث أو ما يسمعه بدقة تامة.

والملاحظة الجيدة تتطلب روح البحث العلمي والتركيز والنقل الدقيق والأمانة العلمية إضافة إلى أنه يمكن تسجيلها وتصويرها على أشرطة سمعية ومرئية¹.

ويمكن تصنيف الملاحظة إلى أنواع وأشكال مختلفة حسب الأساس الذي يعتمد للتصنيف، فالملاحظة قد تكون مباشرة حين يقوم الباحث أو جامع البيانات بملاحظة سلوك معين من خلال اتصاله مباشرة بالأشخاص أو الأشياء المراد دراستها، وقد تكون غير مباشرة حين يقوم الباحث أو جامع البيانات بجمع البيانات من مصادر ثانوية كالمراجع والسجلات والتقارير والمذكرات التي أعدها الآخرون.

استخدمنا في بحثنا أداة الملاحظة وذلك من خلال استخدام الملاحظة المباشرة للطقوس والممارسات المتعلقة بالاستمطار إلى جانب الملاحظة الغير مباشرة من خلال تحليل محتويات الأعمال الإثنوغرافية التي قام بها الدارسون السابقون لهذا الموضوع.

2- المقابلة:

هي حوار بين الباحث والمبحوث المراد الحصول على معلومات منه أو تعبيراته عن آرائه واتجاهاته ومشاعره، ويقوم بالمقابلة أشخاص مدربون تدريباً خاصاً لجمع المعلومات من الأفراد بشكل مباشر من خلال طرح أسئلة محددة وتسجيل ما دار فيها وعن طريق المقابلة يتمكن الباحث من دراسة وفهم التعبيرات النفسية للمفحوص والاطلاع على مدى انفعاله وتأثره بالبيانات التي يقدمها، كما تمكن من إقامة علاقات ثقة ومودة بين الباحث والمفحوص.

¹سهيل رزق دياب، "مناهج البحث العلمي"، غزة، فلسطين، ص 50.

ويستطيع الباحث من خلال المقابلة أيضاً أن يختبر مدى صدق المبحوث ومدى دقته في الإجابة التي يطرحها¹.

والمقابلة كأداة بحثية تتطلب تخطيطاً وإعداداً مسبقاً كما تتطلب تأهيلاً وتدريباً خاصاً، ويتطلب استخدام المقابلة كأداة بحثية من الباحث أن يكون قادراً على استخدام تقنيات خاصة بإجراء المقابلات يتعلق بعضها بالإعداد للمقابلة مثل اختيار المفحوص وإعداد المكان المناسب وتوفير الوقت اللازم والأسئلة اللازمة ويتعلق بعضها بتدريب الباحث أو جامع البيانات على إجراء المقابلة وتوجيه الأسئلة وإقامة الجو الإنساني الآمن للمقابلة.

اعتمدنا في بحثنا هذا على طريقة المقابلة من خلال انتقاء المبحوثين من لهم دراية بممارسات الاستسقاء وطرح أسئلة محورية، حيث تكونت المقابلة من ثلاث محاور الأول أسئلة عامة حول المبحوثين للتعرف على مدى درايتهم بالطقس، والمحور الثاني كان سؤال حول ما مدى معرفتهم بالأساطير التي تحاك حول طقس الاستمطار، أما المحور الثالث فكان طلب لوصف الطقوس.

¹سهيل رزق دياب، المرجع السابق، ص56،55.

الفصل الثاني:

المعتقدات الدينية

والسحرية الأولى

تمهيد:

اهتم علماء الاجتماع والأنثروبولوجيا ومقارنة الأديان بماهيتي الدين والسحر، حيث من شبه المستحيل التطرق لأحدهما دون ذكر الآخر، واختلفت النظريات من حيث أيهما أسبق الدين أم السحر، كما ذهب اتجاه آخر إلى استحالة التفريق بينهما إذ أنهما شيء واحد. خصصنا هذا الفصل الذي يتكون من مبحثين، المبحث الأول حول الدين والثاني حول السحر، لتوضيح رؤى أهم الاتجاهات حول نشأة كل من الدين والسحر، وأهم مكوناتهما في محاولة لفهم ماهيتهما وتحديد علاقتهما ونقاط التداخل والتعارض بينهما.

المبحث الأول: الدين في المجتمعات الأولى

المطلب الأول: نشأة الدين

طرح علماء الاجتماع والأنثروبولوجيا العديد من النظريات حول نشأة الدين في المجتمعات البدائية، وقد تباينت هذه النظريات واختلفت في الطرح، حاولنا ذكر أهم هذه الاتجاهات لأنثروبولوجيين وعلماء اجتماع، وقد طرحنا أربعة اتجاهات هي الاتجاه الطبيعي، الاتجاه الروحي، الاتجاه الوظيفي، والاتجاه الطوطمي كما يلي:

1- الاتجاه الطبيعي:

يذهب محمد عبد الله دراز إلى أن من أشهر مقرري هذا الاتجاه هو العالم الألماني "ماكس ميلر" في كتابه عن الأساطير المقارنة، وهو يستند في ذلك بالإضافة إلى الجانب النفسي، يستند إلى وثائق لغوية استمدها من دراسته المقارنة للأساطير والتماثيل القديمة وكذا دراسة "الفيدا" أي "كتب الديانة البراهمية"، حيث لاحظ أن أسماء الآلهة فيها هي في الغالب نفس أسماء القوى الطبيعية العظيمة كالسما وال نار ونحوها وأن هذه الأسماء تتشابه حروفها في سائر اللغات "الهندية أوروبية". فخلص من ذلك إلى أنه قبل تشعب الشعوب الإنسانية وخروجها من موطنها الأول، كانت هنالك لغة واحدة، تعبر عن هذا التقديس العام لقوى الطبيعة الكبرى. فتكون إذا هي الفكرة الأولى قبل ظهور الحضارات¹.

فكرة هذا الاتجاه أن التأمل في هذا الكون الغير متناهي أشعر الإنسان بضعفه وبأنه محاط بقوة ساحقة هو عاجز على السيطرة عليها وهي تقود مصيره، ذلك ما دفعه للقيام بطقوس للتضرع لها وتجنب بطشها وهكذا كانت نشأة الدين.

2- الاتجاه الروحي:

يذهب أحمد أبو زيد إلى أن أهم مبدأ لفهم نظرة البدائي إلى الكون هو ما أطلق عليه تايلور مبدأ "الإحيائية" أو "الأنيميزم" أي الحيوية الطبيعية، بمعنى أن كل ما في الكون من شمس وأقمار وبحار وأنهار ومياه ومطر ووديان وزلازل وبراكين تسكنها الأرواح، فلإنسان البدائي تصور أن العلاقات بين هذه الكائنات هي مشابهة لتلك التي بين البشر، فالكواكب والأجرام السماوية تتزوج وتتكاثر بل كان يحاول تحديد جنسها وتحديد علاقاتها انطلاقاً من ذلك خاصة في نظرته إلى العلاقة بين السماء والأرض².

وتتقاسم هذه الأرواح الأدوار في الكون بحيث يشرف بعضها على تصرفات الآلهة الأرباب، ويشرف البعض الآخر على الوحدة والسلام داخل المجتمع، ويتولى فريق ثالث مهمة الإشراف على المكان الذي

¹ محمد عبد الله دراز، "الدين، بحوث ممهدة لدراسة تاريخ الأديان"، دار القلم، الكويت، ص 114، 115.

أحمد أبو زيد، نظرة البدائيين إلى الكون، المجلد الأول، العدد الثالث، عالم الفكر، ص 54. ²

تتجمع فيه أرواح الموتى والأسلاف وهكذا لكل منها وظيفته¹.

ينطوي هذا الاتجاه ضمن النظرية التطورية حيث تعتبر هذه المدرسة أن عبادة الأرواح هي من أول الديانات.

3-الاتجاه الوظيفي:

أخذ بهذا الاتجاه الكثير من علماء الأنثروبولوجيا والاجتماع، نذكر من بينهم راد كليف براون، ومالينوفسكي، وتالكوت بارسونز وغيرهم، وهم يفسرون نشأة العقيدة الدينية في ضوء الوظائف التي تؤديها للأفراد والجماعات والمجتمعات.

فهذا برونسيلاو مالينوفسكي يرى أن للطقوس الدينية وظيفة تتمثل في تخفيف حالات التوتر و القلق التي تؤثر سلبا على الإنسان، كما أن الدين يعزز التضامن الاجتماعي. بمعنى آخر أن الدين يحافظ على التضامن الاجتماعي من خلال ضبط الأحاسيس التي تهدد استقرار المجتمع.

وهناك وجهة نظر أخرى لتالكوت بارسونز الذي يعتبر أن الدين جزء من النظام الثقافي العام، فالدين عبارة عن مبادئ عامة تؤسس للنظام و الاستقرار داخل المجتمع².

يرى هذا الاتجاه أن الدين جزء من المنظومة الثقافية للمجتمعات وهو يلعب دور المحافظ على توازنها و بالتالي ضمان استمرارية وجودها ومنه فنشأة الدين كانت مع نشأة الجماعة الإنسانية.

4-الاتجاه الطومني :

من أبرز رواد هذا الاتجاه عالم الاجتماع الفرنسي إميل دوركايم الذي اعتبر الطومنية من أقدم الأنظمة الدينية التي عرفت البشرية، و الطومنية هي نظام يشيع في عدد كبير من المجتمعات والقبائل البدائية وبخاصة في استراليا، وهو عبارة عن نمط العلاقات الشعائرية التي تربط بين المجتمع و كذا الكائنات من حيوان ونبات و قوى الطبيعة كالمطر والرعد والبرق وما إليها³. بمعنى أن الطومنية تعكس طبيعة ووظيفة العلاقات القائمة بين الإنسان والعالم الذي يعيش فيه، وكذا ميل الإنسان في بعض الأحيان إلى تقديس القوى الطبيعية أو تقديس أنواع وفضائل معينة من الحيوانات أو النباتات، والملاحظ أن الشعوب

1

أحمد أبو زيد، المرجع السابق، ص58.

² فيلالى صالح، "الدين و المجتمع"، الباحث الاجتماعي، قسم علم اجتماع، جامعة منتوري قسنطينة، عدد 4، 2003، ص 245-250.

علي زيدان خلف، "البنائية البريطانية وتطبيقاتها في الأنثروبولوجيا الاجتماعية"، العميد، المجلد 3، العدد 2، 2014،

ص242. ³

التي يوجد فيها النظام الطوطمي تعامل أنواعاً معينة بالذات من الحيوانات وفي "أحيان قليلة" أنواعاً من النباتات أو إحدى القوى الطبيعية بكثير من الحب والرهبنة والخوف والاحترام و التقديس متخذة منه رمزا لها¹.

ويذكر جيمس فريزر في كتابه الطوطمية و الزواج الخارجي بأن الإنسان البدائي يكن احتراماً للطوطم و-الذي هو عبارة عن شيء مادي- وذلك لأنه يؤمن بأن الرابطة بينهما متبادلة، فالطوطم يحمي الإنسان و الإنسان يعبر له عن الاحترام بدوره².

و يذهب راد كليف براون إلى أن ذلك التقديس، يحدث في اغلب الأحوال في المجتمعات الصغيرة التي تتوقف حياتها ومعاشها على ذلك النوع المعين بالذات من الحيوان أو النبات ومن هنا كنا نجد كثيراً من القبائل التي تعتمد كلية على الأبقار تقديس البقرة في حين تقوم عبادة القمح عند شعوب أخرى يلعب القمح في حياتها دوراً مهماً وهكذا³.

أما "دوركايم" فأرجع تقديس الفرد لرمز القبيلة في المجتمعات الطوطمية لما تحمله القبيلة من مكانة داخل الفرد، لأن القبيلة أكثر قوة وأهمية من الفرد ذاته. و الحياة الاجتماعية -سواء في المجتمعات القبلية أو الأكثر تمدناً- غير ممكنة من دون وجود قيم مشتركة ومعتقدات تشكل الضمير الجمعي، فالدين يعزز القيم و الأخلاق و أما العبادة الجماعية فيعبر من خلالها الأفراد على إيمانهم المشترك بالقيم و المعتقدات⁴.

المطلب الثاني: تطور المعتقدات الدينية

الإنسان البدائي كان في البداية يقديس الأشياء أو الأمور التي توحى له بأنها تضمن له الاستمرارية على قيد الحياة، ثم بعد ذلك بدأ يميل إلى تقديس وعبادة من يملك وسائل الإنتاج فالمرأة عندما اكتشفت الزراعة وملكت الحقول كانت صبيغة آلهة الإنسان البدائي ذات طبيعة أنثوية، بينما أخذ الرجل دوره الريادة في المعتقدات الدينية مباشرة بعد تفوقه الاقتصادي وتمكنه من امتلاك العجلة وتقنيات استخراج المعادن وصهرها.

وعموماً فقد تطورت المعتقدات الدينية في موازاة مع التطور التقني للإنسان الذي ظل يحاول دائماً خلق وتحسين ظروف عيشه كل اكتشاف جديد كان له انعكاس واضح على وعي وفهم الإنسان وساهم بشكل بارز في تغيير تصوراتهم حول الكون والوجود وذلك ما يوضحه ما يلي:

¹ علي زيدان خلف، المرجع السابق، ص 242.

² سيغموند فرويد، الطوطم و الطابو، ترجمة بوعلي ياسين، دار الحوار للنشر، ط1، سوريا، 1983، ص126.

³ علي زيدان خلف، مرجع سابق، ص 243.

⁴ فيلاي صالح، مرجع سابق، ص 245.

1- دين الصيادين "الباليوليتي":

انتهى هذا العصر قبل حوالي نصف مليون سنة واستمر قرابة مئة ألف إلى مائتي ألف سنة¹، تجلى الدين في هذه المرحلة في تقديس النار و الحيوان إلى شعائر الدفن و شعائر الفن الكهوفي ونحت الدمى الأنتوية².

في بداية هذا العصر الباليوليتي كان المقدس متجليا في نيران الغابات و البراكين، ثم أصبح سيد القوم أو الشامان و -الذي يعتبر الساحر والعراف والنبى و الطبيب و الحاكم- مقدسا لكونه قادرا على حيازة النار و إضرامها و السيطرة عليها، واقترب المقدس أكثر من الإنسان عندما تجلى في سيد الحيوان "وهو الحيوان الذي يتميز بالقوة و الفحولة في المملكة الحيوانية كالأسد القوي أو الصقر..." حيث استطاع الإنسان اصطياده وتقمص روحه في شكل اصطياذ طقوسي كأول شعيرة طوطمية، و في مرحلة لاحقة وجد الإنسان نفسه قادرا على استحداث المقدس بنفسه من خلال الرسم و النحت، وهكذا أصبح المقدس مصنعا من طرف الإنسان دالا على عقيدة داخلية أكثر من الدلالة على وجود خارجي أكثر قوة كما كانت عليه النار أو سيد الحيوان "الحيوان الفحل"³.

إن صلة الإنسان بالحيوان في هذه الحقبة ليست صلة عبادة أو تأليه، بل هي صلة سحرية، فحسب مبدأ السحر الأول "مبدأ التشابه" يقول بأن الشبيه ينتج الشبيه، أي أن الإنسان بانتصاره على نوع مميز في المملكة الحيوانية إنما هو إخضاع لذلك النوع كله وكذا اكتساب لخصائصه من شجاعة أو سرعة أو قوة من خلال تقليد حركات وصوت و شكل ذلك الحيوان⁴، مثلا كان الشامان يرتدي ريش الطيور ويقلد صوتها و حركاتها ليتمكن من الطيران عند التقائه لأعدائه، لاعتقاده بأنه تواصل مع روح الطائر وتمكن من اكتساب خصائصه⁵. بالتالي يمكن إرجاع ظهور السحر إلى هذه الحقبة كإرهاصات دينية مبكرة.

كما يشرف الشامان بشكل أساسي على طقوس العبور التي يخضع فيها الصبيان الذين يصلون إلى عتبة الشباب إلى طقوس و شعائر قاسية، هذا إلى جانب إشرافه على طقوس الكشف عن المستقبل وشفاء الأشخاص من الأمراض و الأرواح الشريرة وغيرها...، حيث يرتدي الشامان قناع و يضرب على الدف

¹ خزعل الماجدي، أديان و معتقدات ما قبل التاريخ، دار الشروق، عمان، 1998، ص34.

² المرجع نفسه، ص50.

³ المرجع نفسه، ص50.

⁴ المرجع نفسه، ص51.

⁵ Jean Paul roux, la religion des turcs et des Mongols, Payot, 1984, p65

ويمسك مرآة مصنوعة من البرونز هذه المرآة تمثل بالنسبة له انعكاس الكون، هذا والعديد من الممارسات التي لها صلة بالعالم السحري الغيبي¹ شكل (1).



شكل(1): شامان أثناء قيامه بطقوس علاجية للمرضى بغرض طرد الأرواح الشريرة من خلال ضربه على الدف بمنطقة "توا" في روسيا جنوب سيبيريا شرق منغوليا سنة 1930 .

المصدر : Pinar Somakci, turkelerde muzikle tedavi

الشامانية هي عقيدة سحرية تتمظهر في جميع الديانات السحرية "الفيتيشية"²، الأرواحية والطوطمية" تتمحور حول شخصية الشامان و قد تطور دور الشامان من بداية هذه الحقبة حتى نهايتها، فبداية كان دور الشامان مرتبط بجلب النار و الرؤى الشامانية المقدسة. ثم تطور دوره في تقليد "سيد الحيوان" ثم تطور في لوحات الكهوف في شكل شامان الصيد الأعظم حيث كانوا يظهرون وهم يرقصون أو يرمون بالسهام، فلا شك أنهم كانوا رجال دين ذلك العصر. و إذا كان سيد الحيوان هو الشامان فإن المرأة ممثلة بالآلهة الأم أو "سيدة الماموث" التي ظهرت في دمي "لاوسيل و ليسبورغ و وليندوف"³ (شكل2) و (شكل3) و

¹ Jean Paul roux, la religion des turcs et des Mongols, p65

² الفيتيشية: وتعني الاعتقاد بقوة الأشياء وأن التمايم والحرز والأحجار كانت مادتها وكان الإنسان يعتقد أن قوة الكون كله تكمن فيها وأنها تؤثر على ما حولها ولذلك كان الإنسان يرتديها وهو يحز من عمليات الصيد أو الرعي لتحافظ على حياته". خزعل الماجدي، أديان و معتقدات ما قبل التاريخ، دار الشروق، عمان، 1998، ص64.

³ * لاوسيل: هي نحت آلهة عثر عليها في لاوسيل جنوب فرنسا تظهر وهي تحمل بيدها اليمنى قرن ثور البيسون وتبدو معالم الأنوثة بارزة كناية عن الأنوثة و الخصوبة التي تعتبر رمز الحياة.

* ليسبورغ: نحت آلهة وجد بفرنسا أيضا يبدو شكلا غريبا يشبه جسم الأنثى.

(شكل 4) . نرى هذا الحضور الأنثوي في نهاية هذا العصر لأن المقدس اتسع ليشمل عناصر الخصب الجسدي لكون الخصوبة و الولادة و التكاثر لا تقل أهمية عن عناصر الغذاء و الماء فانعكس ذلك على العائد الدينية¹.



شكل(2): آلهة لاوسيل وهي تمسك بقرن ثور اليبسون "متحف ليهوميه" - باريس.

المصدر: <https://sservi.nasa.gov/articles/oldest-lunar-calendars/>



* وليندوف: عثر عليها في النمسا حيث تظهر معالمها الأنثوية بشكل بارز وشعرها المصفف . خزعل الماجدي، أديان ومعتقدات ما قبل التاريخ، دار الشروق، عمان، 1998، ص46-47-48.

¹ خزعل الماجدي، المرجع نفسه، ص52.

شكل(3): آلهة ليسبوغ.

المصدر: <https://www.pinterest.com/marshaellencamp/goddess-spirit/>



شكل(4): آلهة ويلندروف.

المصدر: <https://www.pinterest.com/marshaellencamp/goddess-spirit/>

وفي معابد ذلك العصر وضعت الرموز الأنثوية محاظة بالرموز الذكورية، وهذا السلوك يدل على تطور في العقيدة الدينية لينفتح أمامنا عصر جديد يعلن سيادة الأنثى الذي سرعان ما يطاح به لاحقا لتعود السيادة الذكورية، حيث يعكس تبادل الأدوار هذا جدل الحياة وخصبها.

إذا تأملنا عناصر الدين في هذا العصر التي تتمحور حول "النار، الحيوان، المدفن، الكهف، المعبد الكهفي، تعاويذ المحار، الصبغة الحمراء، الرسوم، الدمى الأنثوية" لرأينا كما لو أنها تشكل عالم الرحم عند المرأة، فالنار دلالة على دفء الرحم، و الحيوان دلالة على التشكل الجنيني، أما المدافن و الكهف و المعابد الكهفية فهي الرحم نفسه الذي لجأ إليه الإنسان في حياته وعبادته، تعبر التعاويذ المحارية عن حياة الماء الأولي، وعن سوائل الرحم أما الصبغة الحمراء فتشير إلى الدم الذي هو قوة وحياة وغذاء وسمة عالم الرحم. لينتهي هذا العصر بولادة الدمى الأنثوية، التي تعبر عن استمرار الحياة لكون الأنثى منجبة للحياة¹.

للإشارة فإن إنسان شمال إفريقيا قد مر بنفس مراحل تطور الفكر الديني البشري، فقد شكلت المغارات

¹ خزعل الماجدي، مرج سابق، ص 52-53.

محل تقديس له و اعتقد في قوى الجبال و الأحجار و النجوم و غيرها¹ شكل(5).



شكل(5):رسومات كهوف الطاسيلي التي تعود لما قبل التاريخ والتي تعكس بدايات الفكر الديني.

المصدر: / <https://mediterebenthine.canalblog.com>

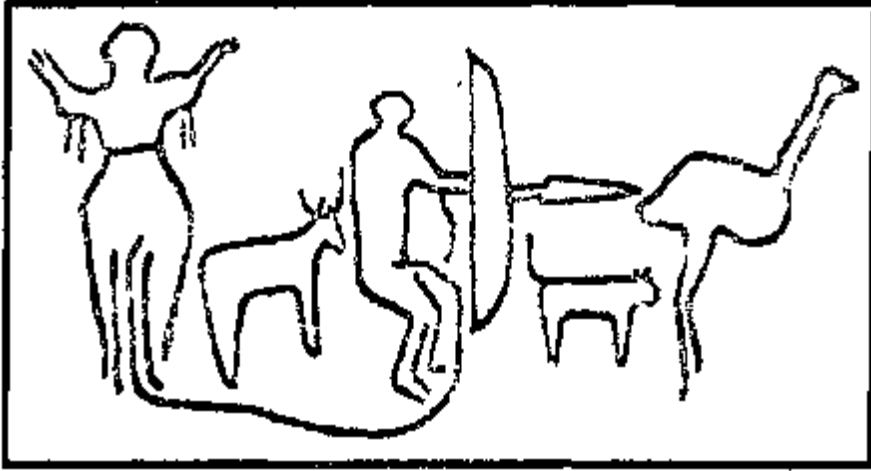
2- دين الرعاة "الميزوليتي":

في هذا العصر بدأت أولى محاولات الإنسان في تدجين الحيوانات التي تعود الصيادون على قتلها، كما قام الإنسان بخزن الثمار فانحصر الصيد إلى حد ما و بدأ بذلك عصر الرعي².
تميزت مظاهر التدين في هذه الحقبة بانتشار الأنشطة السحرية و ذلك بسبب استقرار الإنسان النسبي و محاولته لإخضاع قوى الطبيعة من خلال العلم الأول الذي هو السحر. كما ظهرت ممارسات شامانية جديدة منها عبادة زعماء القبائل، الذين وجهت لهم طقوس و شعائر خاصة وأضيفت لهم أساطير خارقة مما نتج عنه بعد ذلك ما يعرف بعبادة الأسلاف وذلك للاحترام الشديد الذي يكنه الأبناء لأبائهم المؤسسين لكيونتهم، و من المرجح أن عبادة عناصر الطبيعة كالشمس و القمر و النجوم و البرق و المطر قد وجدت

¹ عمران عبد الحميد، "الديانة المسيحية في المغرب القديم"، أطروحة دكتوراه في التاريخ القديم، جامعة منتوري قسنطينة، 2011، ص14.

خزعل الماجدي، مرج سابق، ص 59. ²

في هذا العصر. كما أنه بعد أن كانت الممارسات السحرية حكرًا على الرجال، في هذا العصر ظهر دور المرأة في السحر وذلك كامتداد للاعتراف بقوة الخصب التي تمتلكها كما يمثله¹ الشكل (6).



شكل (6): مشهد للصيد تظهر فيه في الخلف امرأة أثناء قيامها بطقوس سحرية، رسم كهفي وجد بمنطقة توات بالصحراء الجزائرية.

المصدر: Aumassip G, Trésor de l'Atlas, Alger, 1986, P11

3- دين الفلاحين "النيوليتي":

امتد هذا العصر بين 8500 ق.م و 4500 ق.م وانتهى بظهور أول المدن، في هذا العصر اهتدى الإنسان إلى زراعة الحبوب بعد أن قضى زمنا في جمعها، لقد أدى اكتشاف الزراعة إلى الاستقرار و هذه النقطة تعتبر البداية الحقيقية لحضارتنا².

ومن المظاهر الدينية في هذا العصر هنالك تقديس الحيوان ويظهر ذلك جليا من خلال المنحوتات الطينية و الفخارية للحيوانات المختلفة كالماعز و الخراف و الأبقار و غيرها، إلى جانب الديانات الطوطمية التي لم تنقطع بل ازداد ظهور طواطم نباتية أخرى، كما ظهرت في هذا العصر عبادة الجماجم. و تميز هذا العصر أيضا بتقديم الأضاحي و القرابين ولذلك دوافع اقتصادية بهدف تجنب المجاعات و فترات الجفاف³.

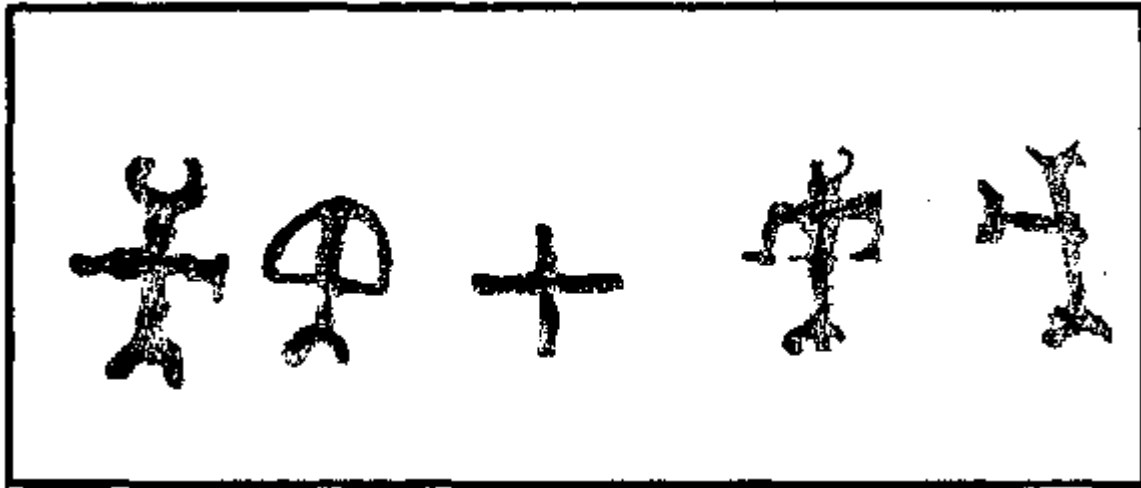
إن أهم المظاهر الدينية التي تميز بها هذا العصر هي الآلهة الأم، حيث وجد الإنسان في المرأة

¹ خزعل الماجدي، مرج سابق، ص 64-65.

² فراس السواح، لغز عشتار، دار علاء الدين، دمشق، سوريا، ط8، 2002، ص 14-15.

³ خزعل الماجدي، مرج سابق، ص 80-81.

البدينة المعافاة الحامل رديفا للأرض المثمرة ومن المعروف بأن المرأة هي حافظة البذور و مكتشفة الزراعة، فارتقت مرتبتها إلى مرتبة الألوهية و أصبحت زعيمة القوم كما كان لا بد أن تتميز بالقوة و الخصوبة وبذلك كانت الإلهة الأم جوهر الدين في هذا العصر¹، لكن هذا الإهتمام بالآلهة الأم لم يمنع من عبادة الإله الأب ولكن بنسبة أقل، وقد يعود ذلك للجهل بدوره في الإخصاب. هذا إلى جانب تواجد إلهة خنثى تحمل من الصفات الذكورية و الأنثوية، وفي نهاية هذا العصر ظهرت الرموز الدينية بشكل واسع حيث اختزلت هذه الرموز الرسم إلى التجريد ولهذا الأثر الكبير في اختراع الكتابة لاحقا لكونها طريقة سهلة في تدوين مشاهدات الإنسان² ومن هذه الرموز: الصليب العصر النيوليتي، الصليب المعقوف، رقصة أكيتو³. شكل(7) و شكل(8) و شكل(9).



¹ خزعل الماجدي، مرج سابق، ص82.

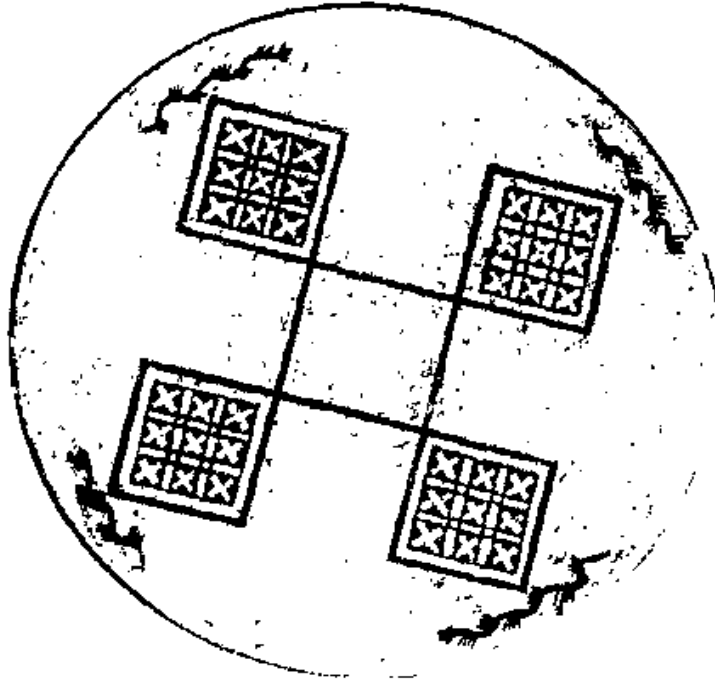
² خزعل الماجدي، مرج سابق، ص94-103.

* الصليب العصر النيوليتي: ويعبر على عدة أمور من بينها الخصوبة عند الإنسان.

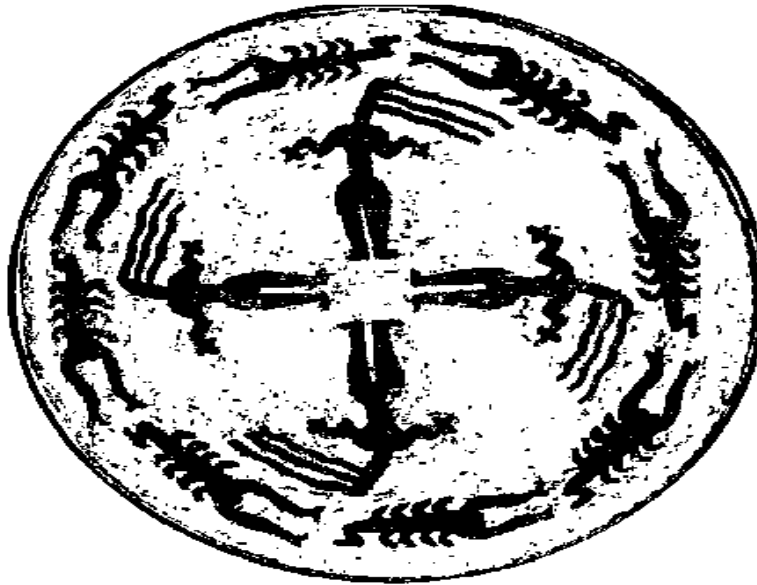
* الصليب المعقوف: "وهو رمز للنازية" كان المعتقد السائد بأنه مأخوذ من أحد الرموز الآرية التي ترجع إلى الثقافة الهندوأوروبية، ولكن الحقيقة تفيد بأن هذا النوع من الصلبان قد ظهر في الألف السادسة قبل الميلاد في الثقافة العراقية القديمة في منطقة سامراء هذا الرمز يدل على حركة حول مركز.

* رقصة أكيتو: مشهد لأربع نساء عاريات وهن يؤدين طقس الاستسقاء، على شكل رقصة دائرية ذات طابع سحري، حيث تنتشر كل امرأة منهن شعرها إلى جهة من الجهات الأربع، ويتضح أن الطقس يجري في منطقة صحراوية و الدليل وجود عقارب. هذه الحركة سحرية تعتمد على مبدأ التشابه السحري حيث بتحريك شعر المرأة الخصيب تجلب الرياح التي تجلب السحاب فتمطر السماء. خزعل الماجدي، أديان و معتقدات ماقبل التاريخ، دار الشروق، عمان، 1998، ص103-104-

شكل(7): صليب العصر النيوليتي، نقش على جدار معبد جنوب الأناضول الألف السادسة قبل الميلاد.
المصدر: خزعل الماجدي، أديان و معتقدات ما قبل التاريخ، دار الشروق، عمان، 1998، ص103.



شكل(8): الصليب المعقوف السواستيكا، الألف السادس، سامراء.
المصدر: خزعل الماجدي، أديان و معتقدات ما قبل التاريخ، دار الشروق، عمان، 1998، ص104.



شكل(9): رقصة أكتيو.
المصدر: خزعل الماجدي، أديان و معتقدات ما قبل التاريخ، دار الشروق، عمان، 1998، ص105.

ذكرنا سابقا أن معبد الإنسان كان الكهف، إلا أنه في هذه الحقبة عرف الإنسان ثلاثة أنواع من المعابد أولها المصلى العائلي وهو عبارة عن غرفة ملحقة بالمسكن خاصة للعبادة، ثانيا المزار وهو مخصص للعبادة الجماعية وثالثا المقام وهو معبد متصل بمقبرة¹.

إن المعتقدات الدينية السحرية في هذه الحقبة لم تتجلى في ممارسات العبادة فحسب بل شملت كل مناحي حياة الإنسان حتى صناعاته بمختلف أشكالها.

4- دين التعدين (الكالكوليتي):

بعدها استعمل الإنسان الحجر في الباليوليت والفخار في النيوليت، اهتدى في هذا العصر إلى اكتشاف المعادن لتكون وسيلة تصنيع لديه و كان هذا في الألف الخامس قبل الميلاد.

بعد أن أخذت المرأة دورها المعروف في الزراعة خلال العصر الماضي، بقي الرجل مهتما بأعمال الصيد، ثم بدأت الزراعة تحتاج إلى جهد عضلي كالحرث و الحصاد، فتناما دور الرجل و ازداد تقديس الآلهة الأب، لكن الانقلاب الفعلي لم يحدث إلا بعد اكتشاف المعدن الذي استخرجه الرجل من باطن الأرض، إن هذا العصر هو عصر الثورة الكالكوليتية الرجولية، نتج عنها ظهور المدينة محل القرية وظهر المعبد مركزا للمدينة وظهرت الحرف و العمارة و التجارة وازداد الدين تركيبا وتعقيدا، و أخذ دور الآلهة الأم بالترشح و ظهر الإله الأب بجانب الآلهة الأم "وأصبح أبو السماء من أهمية الربة الأم الأرض"، و أصبح الناس يتصورون في معتقداتهم بأن المطر هو المنى الخصب لأب السماء²، يذكر هيرودوت في هذا الشأن أن النسامون - وهم جماعة يستقرون إلى الغرب من الأوسيس - كانوا إذا لم يجدوا شيئا من السوائل يأخذون الغبار من الأرض ويلعقونه، وقد كانوا يخرجون في جماعات لأداء هذا الطقس في الهواء الطلق، معبرين من خلاله للآلهة عن مدى احتياجهم للغيث بإظهار ضعفهم اعتقادا منهم أن الجفاف عقاب منها³ ويرى العلماء أن سبب هذه التغييرات هو اقتلاع الرجال للأساس الاقتصادي للنساء، فقد سيطرو على الزراعة إلى جانب صناعة الخزف و الفخار و غيرها. ومنذ ذلك الحين أصبحت الأسرة لا العشيرة الأساس الجديد للتنظيم الاجتماعي.

من مظاهر التدين في هذا العصر هو تراجع دور الآلهة الأم و ظهور الأب كمنافس قوي، كما تطورت

¹ خزعل الماجدي، مرج سابق، ص 116-117.

² المرجع نفسه، ص 135-136.

³ عمران عبد الحميد، "الديانة المسيحية في المغرب القديم"، أطروحة دكتوراه في التاريخ القديم، جامعة منتوري قسنطينة،

2011، ص 47.

الرموز الدينية والمعابد وظهرت أساطير حول حرفة الحدادة ودورها المقدس في صنع الأسلحة للآلهة مما أغنى الجانب الميثولوجي في هذه الفترة وفي هذا يقول مرسيا إلياده في كتابه تاريخ المعتقدات والأفكار الدينية: <<... الحداد له علاقات بالموسيقى والغناء تماماً كما في عدد من المجتمعات حيث أن الحدادين صانعي القدور هم أيضاً موسيقيون وشعراء ومطربون سحرة. وعلى مستوى ثقافات مختلفة يبدو أن هنالك علاقة صميمية بين صناعة الحدادة، والتقنيات المستترة "شامانية-سحر-شفاء" و صناعة الغناء و الرقص و الشعر<>¹.

المطلب الثالث: المكونات الأساسية للدين

قدم الباحث في مجال الأديان فراس السواح في كتابه دين الإنسان عناصر أسماها "مكونات أساسية للدين"، تشكل هذه العناصر أو المكونات بنية موحدة للدين في كل زمان ومكان بحيث لا يمكن التعرف على الظاهرة الدينية بدونها، إلى جانب مكونات أخرى ثانوية لا تلعب دوراً حاسماً في تكوين الدين، أو في تعرفنا على الظاهرة الدينية و هذه المكونات الأساسية هي المعتقد، الطقس و الأسطورة :

1- المعتقد :

يعرف فراس السواح المعتقد بقوله: <<هو أول أشكال التعبيرات الجمعية عن الخبرة الدينية الفردية التي خرجت من حيز الانفعال العاطفي إلى حيز التأمل الذهني. و يبدو أن توصل الخبرة الدينية إلى تكوين معتقد، هو حاجة سيكولوجية ماسّة، لأن المعتقد هو الذي يعطي للخبرة الدينية شكلها المعقول، الذي يعتمل على ضبط وتقنين أحوالها...>>². بمعنى أن الخبرة الدينية تبدأ بشكل انفعالي لاواعي، ثم تنزل إلى الوعي الذي يصوغها في شكل أفكار واضحة و مباشرة، تتجلى في شخصيات أو قوى تستقطب الإحساس بالمقدس، وبذلك تتكون الصيغ الأولية للمعتقدات. والمعتقد شأن جمعي تنتجه الجماعة و تتبناه، هذا ما يضمن له الاستمرار و التأثير، كما أن المعتقدات تعمل على رسم صورة ذهنية واضحة لعالم المقدسات، وتوضح الصلة بينه و بين الإنسان من خلال نص الصلوات و التراتيل³.

2- الطقس :

يقول فراس السواح: « تولّد الخبرة الدينية المباشرة حالة انفعالية، قد تصل في شدتها حدّاً يستدعي القيام بسلوك ما، من أجل إعادة التوازن إلى النفس والجسد اللذين غيرت التجربة من حالتها الاعتيادية. ولعل

¹ مارسيا إلياد، تاريخ المعتقدات و الأفكار الدينية، ترجمة عبد الهادي عباس، ج1، دار دمشق، ط1، 1986، ص74.

² فراس السواح، دين الإنسان بحث في ماهية الدين ومنشأ الدافع الديني، دار علاء الدين، ط4، دمشق 2002، ص 47.

³ المرجع نفسه، ص 48-49.

الإيقاع الموسيقي والرقص الحر كانا أول أشكال هذا السلوك الاندفاعي الذي تحول تدريجياً إلى طقس مقنن...¹. تقنن الطقوس وفق اطر تتفق عليها الجماعة حيث تمارسها باستمرار ويرى فيها الأفراد تعبيراً عن تجاربهم الشخصية، وترتبط هذه الطقوس بمعتقدات. وبذلك يتحول الطقس من أداء فردي حر إلى أداء جمعي ذي قواعد وأصول مرسومة بدقة، ومع ذلك، فقد يتعايش هذان النوعان من الطقوس في الثقافة الواحدة، حيث يقام الطقس الحر جنباً إلى جنب مع الطقس المنظم، بسبب قصور الطقوس المنظمة عن سد حاجة نوع معين من الأفراد ذوي الحساسية الشديدة للتجربة الدينية الفردية، مثال ذلك الطقوس والصلوات التي تقام في المعابد بشكل رسمي وحلقات التصوف من جهة أخرى كطقوس غير رسمية، هذه الطقوس تقام جنباً إلى جنب في مجتمع واحد.

وباعتبار المعتقد حالة ذهنية فالطقس حالة فعل، وإذا كان المعتقد مجموعة من الأفكار المتعلقة بعالم المقدسات فالطقوس هي أسلوب التعامل مع ذلك العالم وأداة للاتصال معه. كما أن الطقس وسيلة لإعادة خلق الإيمان بشكل دوري².

3- الأسطورة :

من خلال المعاجم العربية، فإن كلمة أساطير قد جاءت من السطر وهو الخط أو الكتابة، وجمعه أسطار كما هو الحال في سبب وأسباب، وجمع الجمع أساطير.

تنشأ الأسطورة وتمتد عن المعتقد الديني، فهي تساعد على حفظه و تضمن انتقاله عبر الأجيال، كما تزوده بجانب خيالي مرتبط بالعواطف و الانفعالات الإنسانية. كما أن الأساطير تعطي للآلهة صورة خيالية وتعطيها أسماء وتكتب لها سيرة و تاريخاً وتحدد لها وظائفها وعلاقتها ببعضها البعض³.

¹ فراس السواح، مرجع سابق، ص 52-53.

² المرجع نفسه، ص 53-55.

³ المرجع نفسه، ص 55-59.

المبحث الثاني: بين السحر و الدين

المطلب الأول: نشأة السحر

يُرجع روبرتسن سميث ظهور السحر إلى عصور التفكك الاجتماعي عند الإنسان البدائي ويرى أنّ «الدين باعتباره شيئاً آخر غير السحر والشعوذة، فهو يخاطب الأفراد المقربين وينصب علي كيانات ودودة قد تغضب أحيانا على قومها ولكنها دائما تتسم بالسماحة باستثناء الأعداء أو المارقين على المجتمع». ويضيف بأن الدين الحقيقي لا يبدأ بخوف غامض من قوي مجهولة بل بتقديس ودي لآلهة معروفة ترتبط مع أتباعها بعلاقات وثيقة . ويشير إلى «أنّ قوي السحر الغيبية القائمة على الرعب والطقوس التي تهدف إلى مهادنة الآلهة الغريبة لم تبدأ في غزو الدين القبلي أو القومي إلا في عصور التفكك الاجتماعي»¹. يرى الباحثون في الأنثروبولوجيا وتاريخ الأديان أن هناك تداخلا بين السحر والدين سواء في النشأة أم في استراتيجية العمل، ف نموذج الاتجاه التطوري لهيرت سبنسر صور السحر على أنه نموذج بدائي للدين يقوم على العلاقات المتجانسة وعبادة الأسلاف وهو قابل للتعايش مع تطور الدين، أما إدوارد تايلور فأعطى للسحر لقب "العلم الزائف" على "اعتبار أن العلم يفسر العلاقة السببية بين الأشياء ويستغلها"، لكنه علم فاسد لأن تفسيراته البدائية حول السبب و النتيجة كانت دائما خاطئة، وقد ميز تايلور بين الدين و السحر وقال بأن السحر وجد قبل الدين وأنهما متعارضان تماما بحكم أن الدين يؤمن بقوى لها قدرة أعلى من قدرة البشر أما السحر فيفترض أن السيطرة للبشر لكنه فشل، فجاء الدين لتصحيح ذلك، أما فريزر فوضع نمودجا من ثلاث مراحل لتطور الفكر الإنساني من السحر إلى الدين إلى العلم². وقد ذهب السيدان هوبرت و موس في كتابهما "نظرية عامة في السحر" إلى أن الاعتقاد بالسحر غير منفصل عن مفهوم المانا³، و لربما نشأ تصور المانا أولا ثم نشأ السحر، والسحر يقوم على عنصرين وهما الرغبة في التأثير في أي شيء وفكرة أن الأشياء مشحونة⁴.

و في محاضرة بعنوان "زوال السحر عن العالم" عام 1917، اعتبر ماكس فيبر السحر فنا عميقا هدفه السيطرة على العالم الطبيعي الذي تسكنه الأرواح "حسب اعتقاد الإنسان البدائي"، ووضح فوارق بين

¹ روبرتسن سميث، محاضرات في دين الساميين، ترجمة عبد الوهاب علوب، المجلس الأعلى للثقافة، 1997، ص57.

² أوين ديفيز، السحر، ترجمة رحاب صلاح الدين، ط1، هنداوي للتعليم و الثقافة، 2014، ص20-21.

³ المانا: تعني أن ثمة قوة منتشرة في أرجاء الطبيعة تشارك فيها على درجات متفاوتة بعض الأشياء إن لم يكن كلها.

هنري برجسون، منبع الدين و الأخلاق، ترجمة سامي الدروبي و عبد الله عبد الدايم، الهيئة المصرية للتأليف و النشر،

1971، ص180،182.

الدين و السحر لكنه لم يعتبر هذه الفوارق ثابتة، وكان يعتقد أن أقدم أشكال الدين كانت سحرية بالأساس و أن هنالك بقايا من الدين السحري ظلت مستمرة عبر المراحل اللاحقة للفكر الإنساني، أما سيغموند فرويد فيذهب إلى أن السحر تعبير عن أقدم مراحل الثقافة البدائية، وقد فرق فرويد بين السحر و الشعوذة واعتبر أن السحر سبق الشعوذة في درجات السلم التطوري، فالسحر يتعلق بالحالة العاطفية أي أنه ارتبط بالبنفس وليس بالتفاعل الاجتماعي. هذه الأفكار و غيرها حول السحر وضحاها فرويد في مقاله الإحيائية و السحر و القدرة الكلية للأفكار¹.

أما مالمينوفسكي فقد ميز بين الدين و السحر، فقد أشار إلى أن السحر له نهاية في المهمة التي قام من أجلها، قارن بين الطقوس السحرية التي تقام لمنع موت الطفل و بين الطقوس الدينية التي تقام لتبارك مولد الطفل، فالأولى لها غرض عملي محدد، أما الطقوس الدينية فهي ليست وسيلة لغاية بل هي غاية في حد ذاتها، فالطقوس الدينية تعبر عن مشاعر، ويوجز مالمينوفسكي أوجه التشابه و الاختلاف بين الدين و السحر في أن كلا منهما يخفف من الضغوط العاطفية، وأن كلاهما يركز على الميثولوجيا و لكل منهما تابو أو "محرمات" أما اختلافهما فيكمن في أن المعتقدات السحرية بسيطة، في حين أن الدين يقدم جوانب و أغراض متعددة ومعقدة فهو أكثر تنوعا وتعقيدا و السحر يمد القدرات العملية للإنسان، فوظيفته إضفاء القدسية على الإنسان ليزيد من إيمانه بانتصار الأمل على الخوف، كما أن الدين يمد الناحية الأخلاقية في الإنسان عن طريق تزويده بالاتجاهات العقلية القيمة، مثل الشجاعة و الثقة في حالات الصراع مع المصاعب و في حالات الموت².

المطلب الثاني: مبادئ السحر

في كتابه "الغصن الذهبي" يطرح العالم الأنثروبولوجي جيمس فريزر نظريته حول أصل الدين والسحر حيث يستدل من خلال البحث النظري العميق أن السحر هو المرحلة التاريخية الأولى للبشرية والتي مهدت

¹ أوين ديفيز، المرجع السابق، ص50-65.

² مهدي محمد القصاص، علم الاجتماع الديني، كلية الآداب، جامعة المنصورة، 2008، ص32.

فيما بعد لظهور الدين، ويحدد فريزر المراحل التي مر بها العالم من حيث علاقة الإنسان بالكون كما يلي "مرحلة السحر-مرحلة الدين-مرحلة العلم" وقد وضع فريزر مبدأين للسحر وهما:

1- مبدأ التشابه "الشبيه ينتج الشبيه ويسمى هذا النوع السحر التشاكلي أو سحر المحاكاة":

منذ آلاف السنين انتشر هذا النوع من الممارسات بشكل واسع، فمارسه سحرة الهند وبابل و مصر وبلاد اليونان وروما. كما أن هذه الممارسات لا تزال شائعة بين الجماعات البدائية المعاصرة في استراليا وإفريقيا و اسكتلندا، فمثلا الهنود الحمر في أمريكا الشمالية يعتقدون أن رسم صورة الشخص في الرمل أو الرماد أو الطين أو الحصول على جزء من جسمه، و إلحاق أي نوع من الأذى بمثيله ينتج عنه إلحاق أذى بالشخص ذاته، وعلى ذلك فحين يريد الشخص عند هنود "أوجبواي" إيذاء أحد أعدائه فإنه يصنع له تمثالا صغيرا من الخشب ثم يغرز إبرة في رأسه أو قلبه أو يطلق عليه سهما، اعتقادا منه أن عدوه سوف يشعر بآلام حادة في ذلك الجزء من جسمه و إذا أراد قتل عدوه فإنه يدفن ذلك التمثال أو يحرقه.

وإذا كان السحر التشاكلي أو سحر المحاكاة الذي يعمل عن طريق الصور أو الدمى يمارس في العادة لتحقيق الأغراض الشريرة، فإنه أحيانا يستخدم لتحقيق الأغراض الطيبة كاستخدامه لغرض تسهيل الولادة ومنح الذرية للنساء العاقرات، فمثلا عند قبيلة "الباتاكا" في سومطرة تصنع المرأة العاقر والتي تتمنى الإنجاب دمية من الخشب لطفل تحمله في حجرها على أمل أن تتجب، فهذا الطقس هو طقس سحري محض يهدف عن طريق المحاكاة أو التمثيل إلى إنجاب طفل. ومع ذلك فيعملون على تدعيم هذه الطقوس بالصلاة و تقديم القرابين بمعنى أن السحر هنا امتزج بالدين واستمد منه مزيدا من القوة¹.

ومن الأغراض الطيبة التي يستخدم فيها السحر التشاكلي هي استخدامه في العلاج و الوقاية من الأمراض، ومن إيجابيات السحر التشاكلي أنه يسمح بإجراء العلاج على شخص الطبيب نفسه بدلا من ممارسته على المريض الذي يعفى بذلك من كل المتاعب و المضايقات فعند قبيلة "الداياك"²، عندما يلجأ أحد المرضى إلى المطيبين لعلاجهم، يلقي المطيب بنفسه على الأرض متظاهرا بالموت و يعامله الناس بنفس الطريقة التي يعامل بها الجسد الميت فيضعونه في حصير ويحملونه إلى بيته ويثبتونه على الأرض،

جيمس فريزر، **الغصن الذهبي** دراسة في السحر و الدين، ترجمة أحمد أبو زيد، ج1، ط2، الهيئة العامة لقصور الثقافة،

1998، ص87-90.

جيمس فريزر، المرجع السابق، ص96-97.

وبعد ساعة تقريبا يأتي مطبب آخر ليخلصه من أسره ويرده إلى الحياة، و المفروض أنه بينما يستعيد المطبب الحياة يستعيد المريض صحته¹. كما أن السحر التشاكلي غالبا ما يكون حاضرا في طقوس الصيد و القنص للحصول على قوت وفير في المجتمعات البدائية، فهم يمارسون محاكاة النتيجة أو التأثير الذي يتمنون تحقيقه، فعند قبيلة "الوارامونجا" مثلا نجد أن زعيم طوطم طائر الككتوة الأبيض "وهو فرع من الببغاوات" يعمل بكل جهده على الإكثار من هذه الطيور ولذا فإنه يمسك بيده تمثالا لها ويصيح مقلدا صوتها، أما بعض قبائل الهنود الحمر فيعتمدون في معاشهم على السمك، فإن لم يأت السمك في موسمه المعتاد قام أحد سحرة "نوكتا" بصنع تمثال على هيئة سمكة و ألقى بها في الماء على أمل أن يجذب ذلك العمل الذي تصاحبه بعض الصلوات السمك².

و السحر التشاكلي لا يتألف من قواعد إيجابية فقط و إنما يضم عددا كبيرا جدا من القواعد السلبية أو التحريمات فالقواعد الايجابية هي التعاويذ و الطقوس و القواعد السلبية هي الطابو أو المحرمات، ومثالا على الشكل السلبى للسحر التشاكلي فعند "الهوزل" في جبال كرابات تمتنع زوجة الصياد عن الغزل حين يخرج زوجها للقنص حتى لا تأخذ الفريسة في اللف و الدوران حول نفسها مثل المغزل فيعجز الصياد عن إصابتها، هنا نجد أن التابو مستمد من قانون التشابه³.

2- مبدأ الاتصال "ويسمى أيضا السحر التعاطفي":

إن الأشياء التي كانت متصلة ببعضها في وقت ما تستمر في التأثير ببعضها البعض حتى بعد انفصالها فيزيقيا، بمعنى أن أجزاء الشخص المنفصلة عنه كالشعر أو الأظافر أو الثياب تضل تأثر به سلبا أو إيجابا. فمثلا يحرص سكان القبائل البدائية على الحفاظ على أسنانهم المقتلعة في مكان آمن مخافة أن تمسهم قوى سحرية شريرة قد تأثر على صحتهم أو حياتهم أو أعمالهم بصفة عامة. أو قد يعتمد الكثير من الأشخاص في مناطق مختلفة من العالم بوضع السن التي اقتلعها الطفل في مكان بحيث يسهل للفأر قضمها و ذلك ليكسب الطفل أسنانا قوية كأسنان الفأر⁴، فكل هذه الممارسات من رواسب الاعتقاد بالسحر التلامسي، أيضا من أجزاء الجسم التي يعتقد الكثير من الأشخاص على استمرار وجود صلة بينها وبين الجسم "الحبل السري" وكل ما يخرج من الرحم أثناء الولادة "المشيمة"، حيث كلما احتفظ بالحبل السري أدى

¹ جيمس فريزر، المرجع السابق، ص 97.

² المرجع نفسه، ص 100.

³ المرجع نفسه، ص 103-106.

⁴ المرجع نفسه، ص 142-146.

إلى حياة أفضل و كلما تعرض للتلذذ أثر ذلك على حياة الشخص سلبي¹. ومن الأشكال الغربية لمبدأ الاتصال العلاقة بين الجرح ومصدره، بمعنى الاعتقاد أنه إذا أصيب شخص ما بجرح بإمكانه أن يضرب على الأداة التي سببت الجرح فينتهي الألم².

ليست الملابس فقط أو أجزاء الجسم ما تحقق السحر التلامسي، بل آثار الأقدام أيضاً، فأهالي جنوب شرق استراليا مثلاً يعتقدون بأن غرز الشظايا الحادة في آثار شخص ما قد تسبب له العرج³.

المطلب الثالث: المكونات الأساسية للسحر

أولاً: حسب مارسيل موس

يرى موس أن السحر يتضمن ثلاث مكونات وهي كالتالي:

1- الساحر أو الوكيل:

وهو من يقوم بالأفعال السحرية فليس هناك سحر بدون ساحر، حيث يتميز الساحر بنوعين من المؤهلات "مكتسبة و خلقية"، كما أنه من المعروف أن الممارسات السحرية يقوم بها المتخصصون، في حين أن هناك طقوس يقوم بها الجميع ولا تتطلب ممارستها مؤهلات خاصة فهي تشيع بفعل التكرار.

2- الطقوس السحرية أو الأفعال:

إن ما يعطي الطقوس قيمتها و استمراريتها هو تبنيها من قبل الجماعة، حيث يضمن تكرار الطقوس من طرف الجماعة رسوخها و استمرارها، فالطقوس إن لم تعتقد فيها كل الجماعة لا تسمى سحرية، يقول موس: «إن الجمهور هو الذي يصنع الساحر ويصنع كذلك التأثيرات الصادرة عنه، إن الساحر بفضل الجمهور يعرف كل شيء ويستطيع كل شيء»⁴.

3- المعتقدات أو التمثلات:

وهي الأفكار التي تتعلق بالأفعال السحرية، والتي على أساسها يمكن تفسير الاعتقاد في فعالية الطقوس السحرية⁵.

ثانياً: حسب بول غليونجي

يرى بول غليونجي كتابه "طب و سحر" أن السحر يتضمن ثلاث مكونات وهي كالتالي:

¹ جيمس فريزر، المرجع السابق، ص 146-149.

² المرجع نفسه، ص 150.

³ المرجع نفسه، ص 156-159.

⁴ يونس الوكيل، "الجماعة و السحر" تراث الأنثروبولوجيا الفرنسية في تقدير الممارسة الفكرية لمارسل موس، قسم الفلسفة و العلوم الإنسانية، مؤمنون بلا حدود، 2016، ص 85.

⁵ يونس الوكيل، المرجع السابق، ص 86.

1- التعويذة:

وهي الصيغة اللفظية والتي تعتبر القوة الفعالة في العمل السحري، يشير مدلول التعويذة عادة إلى الغاية المطلوبة بالتشبيه أو الاستعارة أو توافق الأصوات، كما تخضع تلاوتها لتقاليد مستمدة من خواص الأرقام السحرية "3،4،7"، أو تقرئ بالتسبيح على العقد المربوطة على الحبال أو الأقمشة أو باستعمال النبيذ أو الزيتون أو الماء المقدس أو بطقوس أخرى.

2- حركات السحر "الطقوس":

هي حركات يقوم بها الساحر تصحب عادة التعاويذ وتعززها وهي مبنية على عقيدة أن قوة السحر تحول الشبه إلى حقيقة مثلا قد يقلد الساحر حركة الماء المتموجة بيده أو يصب الماء لإسقاط المطر.

3- شخصية الساحر:

لطالما أعطى المجتمع أهمية لشخصية الساحر، لاعتقاده بأنه يملك السيطرة على القوى الخطيرة، لذلك كانت عملية اختيار الساحر تقام وفق شروط خاصة، منها أن يكون من سلالة السحرة، أو أن تقترن أفلاك معينة ساعة ميلاده، أو أن يحمل بعض الشارات على جسمه، أو أن يصاب بأحد الأمراض المقدسة كالصرع مثلا...الخ¹.

مما سبق نستنتج أن كلا من السحر و الدين يشتركان في مكونين مهمين هما "الطقس و المعتقد"، وان اختلف الجوهر، حيث أن الطقس في السحر يقوم على مبدئي "التشبيه و الاتصال" بينما في الدين يقوم الطقس على التضرع و الخضوع للقوى العليا، أيضا بالنسبة للمعتقد في السحر يتمثل في الاعتقاد في قوة الساحر أما في الدين فهو في الاعتقاد بالآلهة و قدرتها، إلا أننا نلاحظ غياب مكون مهم في السحر ألا وهو الأسطورة ووجود التعاويذ السحرية مكانها على عكس الدين الذي تعتبر الأسطورة من أهم مكوناته .

بول غليونجي، طب و سحر، دار القلم، القاهرة، ص10-15. ¹

الفصل الثالث:

بين الأسطورة

والطقس

تمهيد:

لطالما ارتبطت الطقوس بالأساطير، حيث مثلت الطقوس تجسيدا مسرحيا لأحداث الأسطورة، كما أعطت الأساطير شرحا و تبريرا للفعل الطقسي حيث أصبح أكثر وضوحا و تقبلا. اختلفت الرؤى وتعددت في مسألة أيهما أسبق الطقس أم الأسطورة، وكانت هذه الجدلية قد شغلت كبار الأنثروبولوجيين، وفي هذا الفصل، تناولنا أهم المقاربات التي عالجت كلا من الطقس والأسطورة. إلى جانب محاولة تحديد وظيفة كل منهما على حدى و أهم التصنيفات التي خصو بها.

المبحث الأول: ماهية الأسطورة

المطلب الأول: نشأة الأسطورة

قدم نضال الصالح في عمله المعنون بـ "النزوع الأسطوري في الرواية العربية المعاصرة"، أهم النظريات التي فسرت نشأة الأسطورة، وهي ثلاثة بالشكل التالي:

1 - الأسطورة والطقس السحرية والدين:

يرجع أصحاب هذه النظرية مجمل الأساطير إلى الطقوس التي كان الإنسان في المجتمعات الأولى يمارسها استرضاء لقوى الطبيعة، في هذا يقول جيمس فريزر في كتابه أدونيس أو تموز الذي عالج الميثولوجيا الإغريقية بوصفها وجهاً من أوجه الديانة الإغريقية، وقال بتبعية الأسطورة للطقس ونشوتها عنه، قال: «... وقد ظن الناس في إحدى فترات التطور أن الوسائل لتجنب المصائب هي في أيديهم، وأنهم يستطيعون أن يعجلوا من سير الفصول أو يبطئوا منه بفن السحر. ولذا قاموا ببعض المراسيم ورددو الرقي والتعاويذ ليحثوا المطر على السقوط، والشمس على الإشرار، والحيوانات على التكاثر، و فواكه الأرض على النمو.»¹، فالأسطورة ظهرت بالتزامن مع الطقوس السحرية مشكلة الدين.

2 - الأسطورة والتاريخ والواقع:

يذهب أصحاب هذه النظرية إلى أن الوقائع التي ترونها الأساطير هي وقائع تاريخية احتفظت بها الذاكرة البشرية لفترة طويلة قبل أن يكتشف الإنسان الكتابة، وأن الأساطير القديمة هو نوع من التدوين البدائي للتاريخ، بمعنى أنه يحفظ في داخله بعض الحقائق التاريخية الموهلة في القدم. وفي ذلك يقول مارسيا إلياده في كتابه أسطورة العود الأبدي: «...إلى أي حد تحتفظ الذاكرة الجماعية بذكرى الحدث التاريخي؟ رأينا المحارب مهما كان شأنه يحاكي "بطلاً" ويسعى إلى الاقتراب ما أمكنه من المثال النموذجي...»²، بمعنى أن الذاكرة الجماعية عاجزة على الاحتفاظ بالحدث التاريخي مدة طويلة، فتحاك على شكل أسطورة تضيف على شخصياتها و أحداثها لمسة مثالية مقدسة. وقد ميز عدد من الباحثين بين التاريخ الأسطوري و التاريخ "التاريخي" بمعنى أن هنالك شيء من التاريخ في الأساطير.

فالأسطورة والتاريخ ناتجان ثقافيان كلاهما يتوقان إلى معرفة أصل الحاضر، إلا أنهما يختلفان في القيمة التي يعطيانها لذلك الأصل، فهو أصل قدسي عند الأسطورة و دنيوي عند التاريخ. فالتاريخ المقدس

¹ جيمس فريزر، أدونيس أو تموز، ترجمة جبرا إبراهيم جبرا، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط2، 1979، ص 15.

² مارسيا إلياده، أسطورة العود الأبدي، ترجمة نهاد خياطة، كتب الدار، دمشق، ط1، 1987، ص 76.

يسرد تجلي الآلهة في الزمان و المكان الدنيويين، و سرد أفعالها في الأزمنة البدئية الأولى، ويفسر أصل الظواهر بأنها نتاج لمشيئة الآلهة وتصرفاتها، فالمرض مثلا ظهر بسبب خطأ أحد الآلهة، و الشر موجود بسبب تمرد ملاك في السماء وقيادته لمملكة الظلام، وغيرها من الأفعال التي شكلت واقع العالم اليوم.

إن التوق لمعرفة جذور الواقع، هو الدافع وراء بحث الإنسان الحديث في التاريخ، والإنسان الحديث يصل إلى هذه الأجوبة بالعلم. فكل من الأسطورة والتاريخ سبل ليعي الإنسان ذاته، فالإنسان البدائي بالأسطورة فسر بأن الواقع نتاج لمشيئة إلهية، أما الإنسان الحديث فبالتاريخ فسر الواقع كنتاج لأفعال الإنسان و قوانين الطبيعة¹

3 - الأسطورة والرمز:

تذهب هذه النظرية إلى أن للأساطير جميعها فعالية مجازية ورمزية، وتتضمن في داخلها الحقائق التاريخية، أو الأدبية، أو الدينية، أو الفلسفية، ولكن على شكل رموز، تم استيعابها بمرور الزمن على أساس ظاهرها الحرفي.

وقد رأى تايلور أحد أهم أعلام هذه النظرية أن الإنسان في المجتمعات الأولى كان يتمتع بقدرة خاصة، تكاد تكون نوعاً من الملكة، على صنع الأسطورة، نتيجة نظرتة العامة إلى الكون، وإيمانه بحيوية الطبيعة أو "المبدأ الحيوي أنيميزم" ومنه فالأنيميزم يعتبر مفتاح فهم رمزية الأساطير، ففكرة تجسيد الآلهة عند الرجل البدائي، ليست إلا تجسيدا لبعض الأفكار الغامضة عنده عن وجود كائنات عليا تملئ الكون². فالأسطورة ناتج انفعالي غير عقلائي، وهي تستخدم الأفكار للتعبير عن ذلك الانفعال، فالأسطورة نوع من الحدس يتجسد في صور ومشاهدات وشخصيات رمزية لها معاني و دلالات، بعضها واعي وبعضها غير واعي³. فإذا كان للدين جانب عملي واضح في الحياة اليومية فإن له جانبا رمزيا أيضا، يتمثل هذا الجانب الرمزي في الشعائر و الطقوس التي كانت تهدف إلى أشياء أخرى غير ما تتبئ به ظواهر تلك الطقوس، بمعنى أنها كانت تجسيدا لبعض الأفكار الغامضة لديه عن وجود كائنات عليا تملأ الكون، ولم تكن تلك الكائنات التي زخرت بها أساطيره سوى نوع من العون المادي الذي ساعد على إضفاء شكل من أشكال الوجود والذاتية على تلك الأفكار، كما لم تكن سوى رموز لهذه الأفكار نفسها⁴. ويبقى السؤال كيف نستطيع

¹ فراس السواح، الأسطورة و المعنى، دار علاء الدين للنشر، دمشق، ط2، 2001، ص 91-92.

² أحمد أبو زيد، "الرمز والأسطورة والبناء الاجتماعي"، مجلة عالم الفكر، العدد3-16، 1985، ص12.

³ فراس السواح، مرجع سابق، ص35.

⁴ أحمد أبو زيد، مرجع سابق، ص12.

تفسير معنى الرمز الخفي؟ وهو السؤال الذي أجاب عنه كل من العالمين رانك و ساخس، متأثرين بالعالم "ولهم مولر"، فهما يعتبران أن تفسير الرمز له علاقة بالحدث أو المناسبة التي يظهر فيها الرمز. إن فهم الأساطير ضروري لفهم آلية تكون الخيالات و الأوهام اللاشعورية¹.

المطلب الثاني: أنواع الأسطورة

قسمت الأسطورة من قبل الدارسين لها إلى عدة أنواع وذلك باختلاف زوايا نظرهم، وباختلاف وظائفها وخصائصها، لذا لا نجد نوعا واحدا من الأساطير بل عدة أنواع. وفيما يلي نستعرض أهمها:

1- الأسطورة الطقوسية:

ارتبطت أساسا بعمليات العبادة، وهي الجانب الكلامي للطقوس، هذه الأسطورة ليست لغرض التسلية، بل يُعتقد أن لها قوى سحرية، فهي تسترجع الحدث الذي وصفته، ارتبطت بعمليات العبادة، كانت مرتبطة بنقل تعويذات الطقوس قبل أن تصبح حكاية لهذه الطقوس، كأسطورة "أوزوريس" في مصر والطقوس التابعة لها². حيث يعتقد روبرتسون سميث أن الأساطير القديمة كانت بمثابة الاعتقاد الديني، حيث كانت الأسطورة جزءا من بنية الدين و طقوس و العبادة، لكنها لم تتخذ صفة الإلزام، فخضعت لحرية الإنسان مما جعلها عرضة دائمة للتغير من قبل كافة القوى التي يمكنها الاستفادة منها³. وفي هذا الشأن يقول مرسيا إلياده: « لكل طقس مثال إلهي أو نموذج أصلي...⁴»، بمعنى أن الطقوس في الأصل محاكاة لنص أسطوري، ويضيف: «...جميع الشعائر الدينية يفترض أن الآلهة أو أبطال التمدين أو الأسلاف الميطيقيون قد أنشؤوها. »⁵.

2- الأسطورة التعليلية:

هذا النوع من الأساطير ظهر بعد ظهور فكرة وجود كائنات روحية خفية، مقابل ما هو كائن من الظواهر الطبيعية كالرعد وانفجار البركان...، ومن هنا ظهرت تفسيرات وتعليلات عديدة حول هذه الظواهر الكونية من خلال هذا النوع من الأساطير مثل تفسير عمليات شروق الشمس وغروبها، وهيجان البحر

¹ أحمد كمال زكي، الأساطير، الهيئة العامة لقصور الثقافة، ط2، 2000، ص117.

² نبيلة إبراهيم، أشكال التعبير في الأدب الشعبي، دار النهضة، القاهرة، ص16.

³ سيد القمني، الأسطورة و التراث، المركز المصري لبحوث الحضارة، ط3. 1999، ص29.

⁴ مرسيا إلياده، أسطورة العودة الأبدي، مرجع سابق، ص46.

⁵ مرسيا إلياده، المرجع السابق، ص47.

... وهذا النوع من الأساطير حديث في تاريخ تطور الفكر البشري¹، وفي تحديد ماهيتها تقول نبيلة إبراهيم: « ولا تعد هذه الحكاية أسطورة بالمعنى الذي اصطلاحنا عليه، إنما هي حكاية شبه أسطورية تفسر ظاهرة جزئية استرعت نظر الإنسان. أما الأسطورة فهي تنشأ عن ظاهرة يراها الإنسان ويخضع لتأثيرها دائما أبدا. ووظيفة الأسطورة حينئذ أنها تمسك بخيوط بعض هذه الظواهر الكونية المتعددة فتجمعها في وحدة واحدة وفي حدث كلي واحد »².

3- الأسطورة الرمزية:

وتتضمن رموزا تتطلب تفسير، وهي تمثل مرحلة فكرية أرقى من سابقتها³، يقول السواح: « إن تكوين الأفكار هو أول تعبير عن نشاط الترميز، الذي يرافق اتساع الوعي و ارتقائه... »⁴، فتفكير الإنسان انتقل في هذه المرحلة من السماء و الكون إلى عالم الإنسان و الأرض، وهي أكثر تعقيدا من الأسطورة التعليلية، بصفتها تعبر عن فكرة دينية، أو كونية بطريقة مجازية⁵.

4- الأسطورة التاريخية:

وهي تاريخ وخرافة معا، أي أنها حكاية تنتقل من جيل إلى جيل، وتتضمن عناصر تاريخية ومجموعة خوارق، كما أنها قد تحوي على حقائق و شخصيات حقيقية، وتنتقل بالتواتر من جيل إلى جيل⁶. في هذا يقول سيد القمني في كتابه الأسطورة و التراث: «... إن الأسطورة و إن اشتملت على أحلام و انفعالات و تصورات و تخيلات، فإنها اشتملت أيضا على حقائق يمكن أن تتكشف بوضوح إذا عرفنا كيف نفسرها بعد ربطها بشرطها التاريخي، ومكانها في النسق المعرفي لمكانها...»⁷.

5- الأسطورة التكوينية:

وهي تصور لنا كيف خلق الكون، مثل أسطورة التكوين البابلية. تقص هذه الأساطير الأحداث التي تقع بين السمرمية و التاريخ، أي زمن الخلق، ومع انتهاء الخلق ينتهي زمن السمرمية، ويدخل كل من الإنسان وإلهه إلى الزمن التاريخي، وهنا تقوم الآلهة بأفعال أخرى، فتنشط ميثولوجيا أخرى واقعة عند جذور

¹ أحمد كمال زكي، الأساطير، ط 2، دار العودة، بيروت، 1979، ص 44.

² نبيلة إبراهيم، أشكال التعبير في الأدب الشعبي، دار النهضة، القاهرة، ص 18.

³ المرجع نفسه، ص 18.

⁴ فراس السواح، الأسطورة و المعنى، مرجع سابق، ص 19.

⁵ أحمد كمال زكي، المرجع السابق، ص 46.

⁶ المرجع نفسه، ص 46.

⁷ سيد القمني، المرجع السابق، ص 26.

الزمن التاريخي، هذه الميثولوجيا تسمى أساطير الأصول و التنظيم، و التي تعمل على تأسيس كل ما هو قائم سواء على مستوى الطبيعة أو على مستوى الثقافة¹. فمثلا قد تفسر ظهور مكان أو قبيلة و تفسر ظاهرة طبيعية.

6- أسطورة البطل الإله:

على عكس الأسطورة الطقوسية التي يكون البطل فيها هو الإله نفسه، فإن البطل في هذا النوع هو مزيج بين الإنسان والإله، وعلى عكس البطل الإله الذي يهتم بتنظيم السكون والحفاظ على حياة الأفراد، فالبطل المؤله تنصب جهوده في الارتقاء إلى مصاف الآلهة².

المطلب الثالث: خصائص الأسطورة

في كتابة "المقدس و المدنس" وفي حديثه عن الأسطورة حدد "مرسيا إلياده" خصائص الأسطورة بالشكل التالي:

- 1- تحكي الأسطورة تاريخا مقدسا، أي حدثا بدئيا حصل في بداية الزمن.
- 2- شخصيات الأسطورة ليست كائنات بشرية، بل آلهة أو كائنات إلهية. فالأسطورة تأريخ لما فعلته الآلهة في الزمن الأول.
- 3- تؤسس لحقيقة مطلقة، فهي تتكلم عما حصل حقيقة. فهي دائما ما تكون مرتبطة بقصة الخلق، فهي تروي كيف تكوّن شيء ما وظهر للوجود، فالمقدس هو حقيقة مطلقة.
- 4- تتسم بالقداسة بالنسبة للذين يؤمنون بها.
- 5- عادة ما تقترن الأسطورة بالطقوس. لأنها تحكي قصص خلق الآلهة و قداستها، كما أنها تُروى أثناء المواسم الطقوسية، أو فترة الاحتفالات الدينية أي فترة الأزمنة المقدسة.
- 6- تتحدث عن مواضيع شمولية كالخلق و البدايات الأولى، فهي تتحدث عن كيف جاءت حقيقة ما إلى الوجود³.
- 7- إلى جانب هذا يضيف "فراس السواح" في مؤلفه "الأسطورة و المعنى" مايلي:
- 8- الأسطورة قصة تحكمها مبادئ السرد القصصي من حبكة وعقدة و شخصيات، و تصاغ في قوالب شعرية ما يساعد على ترتيبها في الطقوس، وكذا يزودها برونق خاص.

¹ فراس السواح، الأسطورة و المعنى، مرجع سابق، ص93.

² نبيلة إبراهيم، المرجع السابق، ص21.

³ مرسيا إلياده، المقدس و المدنس، ترجمة عبد الهادي عباس، دار دمشق، ط1، 1988، ص74،73.

9- تبقى لفترة طويلة من الزمن وتُتناقل من جيل إلى جيل، لما لها من قيمة إيحائية عند الجماعة، وهذا الثبوت لا يعني الجمود أو التحجر لأنها تتطور باستمرار.

10- الأسطورة مجهولة المؤلف، لأنها نتاج الجماعة وليس الفرد، أو هو عمل فردي تتبناه الجماعة.

11- ترتبط الأسطورة بنظام ديني معين وتعمل على توضيح معتقداته، وتحدد طقوسه، كما تفقد قيمتها كأسطورة إذا انهار النظام الديني، وتتحول إلى حكاية شبيهة بالأسطورة.

12- تكون الأسطورة مقدسة وذات سلطة عظيمة على عقول الناس ونفوسهم¹.

المطلب الرابع: وظائف الأسطورة

يرى عالم الاجتماع إميل دوركايم، أن وظيفة الأسطورة تكمن في تماسك المجتمع، ويذهب سوريل إلى أن وظيفة الأساطير تكمن في توجيه الطاقات والإلهام للقيام بأفعال معينة، وقد تتألف من صور مجازية، تعمل على شحن الهمم لكونها غير عقلانية، فالأسطورة تُعد وسيلة من وسائل دعم السلوك الإنساني، وهي على مستويات مختلفة من الوعي والوضوح، فيتضح فكر كل مجتمع من خلال الأساطير. ويذهب الفيلسوف الألماني أرنست كاسيرر إلى أن الأسطورة تعبر عن قوة الإنسان في مسيرته التطورية، كما أنها مؤثر مهم في الحضارة الإنسانية، فلا يمكن فصل الشعر والفن والتاريخ عنها، فهي تعبر عن المشاعر الإنسانية، وبالتالي فهي لغة رمزية، وقد يكون لها وظيفة اجتماعية تتمثل في تحقيق توازن داخلي وإقامة علاقات مع الذات ومع النظام الاجتماعي. أما الفيلسوف الفرنسي رولان بارت أكد أن الأسطورة تعبر عن الأشياء وتؤكدها وتزيدها وضوحاً، وهي تلغي تعقيد الفكر البشري².

وفي الموسوعة البريطانية تم تقسيم وظائف الأسطورة كالتالي:

- 1- وظيفة الأسطورة التفسيرية والقصصية، فالأسطورة تفسر الحقائق الطبيعية والاجتماعية والحياتية، وهذا لا يعني اقترانها بالقصص التعليلية.
- 2- وظيفة الأسطورة في التبرير و الإثبات، وذلك بإجابتها عن الأسئلة المتعلقة بأصل الطقوس الدينية.

3- وظيفة الأسطورة في الوصف، فبإمكان الأسطورة وصف أصل العالم ونهايته مثلاً.

¹ فراس السواح، الأسطورة والمعنى، ط2، دار علاء الدين، دمشق، 2001، ص12 - 14.

² عمر محمد نقرش، يحي سليم عيسى، "توظيف أسطورة شمشوم في النص المسرحي العربي"، مجلة شؤون إجتماعية، العدد 127، 2015، ص11-12.

4- وظيفة الأسطورة في خلق الكون و نظامه.

5- الوظيفة السحرية و الفنية الشعرية للأسطورة¹.

و يحدد" بيير برونال" من خلال مؤلفه "معجم الأساطير" وظائف الأسطورة كما يلي :

1-الوظيفة التبليغية : فالأسطورة تبلغ و تروي قصة و تحكي شيئا ما.

2-الوظيفة التفسيرية : حيث تفسر الأسطورة ظاهرة ما.

3-الوظيفة الاستكشافية : تحاول الأسطورة أن تجيب عن التساؤلات التي تؤرق الإنسان حول الآلهة

وغيرها من الأمور الغريبة².

ويضيف "فيليب سيلبي" من خلال مؤلفه "ماهية الأسطورة" إلى هذه الوظائف وظيفة اجتماعية دينية

حيث اعتبر الأسطورة عنصرا مؤسسا للجماعة من خلال تحديدها جملة من المعايير المجتمعية³.

¹ عمر محمد نقرش، المرجع السابق، ص13.

² Pierre Brunel, dictionnaire des mythes littéraires (préface), ed du rocher, Paris 1988, p. 7

-15.

³ Philippe Sellier, qu'est ce qu'un mythe littéraire ? revue Littérature, Paris, 1984 , p. 113 –

114.

المبحث الثاني: مفاهيم حول الطقس

المطلب الأول: الطقس والأسطورة

في مطلع القرن العشرين نشأت نظرية الأصل الطقسي للأسطورة، ساهم فيها عدد من الباحثين المهتمين بعلم الأنثروبولوجيا الحديث، والتي تذهب إلى أن الأسطورة هي ناتج من نواتج الطقس، وتذهب إلى أن الطقس أقدم في الأسطورة، فالأسطورة ظهرت بعد الطقس لتوضيح معناه وغايته لأن الطقس يتحول مع مرور الوقت إلى إجراءات غامضة لا يعرف القائلون عليها معناها، هنا تأتي الأسطورة لتوضح أصل الطقس ومعناه. وقد ظهرت بذور هذه النظرية لأول مرة في كتاب دين الساميين عام 1899 لمؤلفه روبرتسون سميث، ثم تبنى فكرته جيمس فريزر في كتابه الغصن الذهبي عام 1911، ثم قامت مجموعة من الباحثين بعد ذلك تسمى "جماعة كامبرج" بتطوير هذه النظرية. فمن الغير ممكن تحديد من الأسبق الطقس أم الأسطورة، فكلاهما ناتج عن أفكار و أحاسيس دينية، تقوم على الإيمان بوجود عالم ما وراء، قائم خلف مظاهر الحياة اليومية، وهو يعبر عن هذه الأحاسيس الدينية بطريقتين، الأولى سلوكية تتبدى في الطقس، والثانية فكرية تتبدى في الأسطورة، ورغم هذه الصلة الوثيقة بينهما إلا أنه من الممكن قيام أحدهما بمعزل عن الآخر، حيث توج طقوس تمارس من غير مرجعية أسطورية، وأساطير تتداول من غير طقس مرفق، كما يوجد أساطير نشأت عن طقوس معينة، وبعض الطقوس نشأت عن أساطير معينة، ومثالا على التداخل بين الطقوس و الأساطير، الطقوس الدورية الكبرى "التي سنتعرض لها لاحقا بشكل أوسع" أين يتداخل الأداء الكلامي و الحركي بشكل يصعب فيه التمييز بين الطقس و الأسطورة، حيث يمثل الكلام الصورة الذهنية للحركة الطقسية، و الحركات هي تجسيد لتلك الصورة الذهنية¹.

المطلب الثاني: الطقس والمعتقد

الطقس هو سلوك اندفاعي، تحول تدريجيا إلى طقس مقنن، وبترافق ذلك مع ضبط التجربة الدينية بمعتقدات واضحة يؤمن بها الجميع، وبذلك يتحول الطقس من أداء فردي إلى أداء جماعي يخضع لقواعد وأصول، ويرتبط الطقس بالمعتقد بدل ارتباطه بالخبرة الدينية المباشرة، ومع ذلك فقد يتعايش هذان النوعان من الطقوس في الثقافة الواحدة، حيث يقام الطقس الحر جنبا إلى جنب مع الطقس المنظم، لأن الطقوس المنظمة قد لا تسد حاجة نوع معين من الأفراد ذوي الحساسية العالية تجاه التجربة الدينية الفردية، ولنا في صلاة المعابد و إنشاد التراتيل نموذجا للطقس المنظم، وفي حلقات الصوفية وما يؤدي فيها من إيقاع موسيقي ورقص نموذجا للطقس الحر الذي لا تربطه علاقة بالمعتقدات الجمعية للمؤسسة الدينية، بل هي

¹ فراس السواح، الأسطورة والمعنى، مرجع سابق، ص145-146.

طقوس ناتجة عن الخبرة الدينية العميقة المباشرة، وهذا الطقس الحر غالباً ما يكرر من أجل استعادة هذه الخبرة الدينية المباشرة، وذلك من خلال رقصات معينة وموسيقى إيقاعية و تكرار صيغ كلامية معينة. يعطي المعتقد صوراً واضحة عن العوالم المقدسة، ولكن المعتقدات وحدها لا تصنع ديناً كاملاً، لكنها قد تشكل فلسفة، رغم اهتمامها بالمسائل الدينية، مثال ذلك الفلسفة الأفلاطونية التي كانت مهياًة لتصبح ديانة كبرى، ولكن ذلك لم يتحقق بسبب افتقارها للطقس، هذا الطقس الذي يربط الإنسان مع العوالم المقدسة التي صاغ المعتقد صورة ذهنية عنها و ينظم علاقته بها، فبقيت هذه الصور الذهنية مجرد أفكار. بمعنى إذا كان المعتقد حالة ذهنية فالطقس حالة فعلية.

وفي علاقة الطقس بالمعتقد يمكن أن نقول إن الصور الذهنية التي لا تخرج من الذهن إلى الفعل فإنها عادة ما تتلاشى وتزول¹.

يقول فراس السواح: «... إن الطقس ليس فقط نظاماً من الإيماءات التي تترجم إلى الخارج ما نشعر به من إيمان داخلي، بل هو أيضاً مجموعة من الأسباب والوسائل التي تعيد خلق الإيمان بشكل دوري، ذلك أن الطقس والمعتقد يتبادلان الاعتماد على بعضهما بعضاً، فرغم أن الطقس يأتي كنتاج لمعتقد معين فيعمل على خدمته، إلا أن الطقس نفسه ما يلبث حتى يعود إلى التأثير على المعتقد فيزيد من قوته وتماسكه، بما له من طابع جمعي يعمل على تغيير الحالة الذهنية و النفسية للأفراد...»²، فالطقس يعزز الإحساس الجمعي في الأفراد، من خلال بث إحساس الوحدة في إيمانهم و معتقداتهم. فالطقس هو نتاج المعتقد ثم يعمل على إذكاء المعتقدات بشكل دوري كي لا تبرد و تندثر.

المطلب الثالث: أنواع الطقوس

في كتابه الأسطورة و المعنى قدم فراس السواح تقسيماً للممارسات الطقسية في ثقافة الشرق القديم إلى ثلاث زمر رئيسية هي:

1) الطقوس السحرية:

يقول السواح: «...تقوم الطقوس السحرية على الإيمان بوجود قوة سارية في جميع مظاهر الكون. وهي قوة غفلة غير مشحّصة، بمعنى أنها لا تصدر عن إله ما أو عن أي كائن روحاني ذي شخصية محددة وإرادة مستقلة فاعلة؛ كما أنها قوة حيادية بمعنى أنها فوق الخير والشر بالمفهوم الأخلاقي المعتاد ويبدو أن الاعتقاد بوجود هذه القوة السحرية هو أول شكل من أشكال الاعتقاد الديني، وأن الطقوس التي

¹ فراس السواح، دين الإنسان، مرجع سابق، ص 53-54.

² المرجع نفسه، ص 55.

نشأت من أجل التعامل مع القوة السحرية هي أول أنواع الطقوس وتهدف إلى التأثير على القوة الحيادية وتوجيهها لتحقيق غايات معينة...¹.

إن الجانب الأكبر من ممارسات الطقوس السحرية، يهدف إلى تسهيل الحياة، و تمكين الناس من السيطرة على الظواهر الكونية والطبيعية، بمعنى تنظيم العلاقة بين الإنسان والكون. كما يعطي الرجل البدائي الكثير من الاهتمام والرعاية للطقوس السحرية، لتحقيق المطالب وإخضاع مظاهر الطبيعة. وقوة الطقوس السحرية متعلقة بإرادة الساحر و قوة تأثير طلاسمة وتعاويذه و العفاقير السحرية التي يستخدمها².

(2) الطقوس الدينية الروتينية:

يصعب وصف الطقوس الدينية التي كانت تقام في معابد الآلهة في بلاد الشرق القديم، رغم ما وصلنا من مصادر حول ذلك، فهذه الطقوس كانت تختلف من معبد إلى آخر. ففي بابل القديمة، مثلاً كان يتوافد عشرات الألوف إلى معبد مردوخ الكبير، قادمين من شتى أنحاء البلاد للمشاركة في الاحتفالات الكبرى بعيد رأس السنة البابلي. وتعتبر الصلاة في المعابد من الطقوس الروتينية الأساسية، فقديمًا مثلاً كان المصلي يتلو في المعبد نصوصاً مسبقاً، وكانت الموسيقى تصاحب الأداء الجمعي للصلاة³.

(3) الطقوس الدورية الكبرى:

يقول السواح: «... يرتبط هذا النوع من الطقوس بأساطير التكوين فالطقس هنا هو الأسطورة وقد تحولت إلى سلوك يستهدف استعادة الزمن الميثولوجي البدئي، عندما خلقت الآلهة العالم وابتدرت النماذج الأولى لكل فعل حضاري خلاق...⁴»، ترتبط هذه الطقوس الدورية أيضاً بأساطير الخصب، حيث يجري تكرار دورة حياة الإله الرئيسي من زواج، فعذاب وموت، إلى بعث جديد من العالم الأسفل، وذلك بهدف الإحياء للطبيعة النباتية بالانبعاث بعد انقضاء الشتاء، ودفع دورة الفصول التي لا غنى عنها للحياة الزراعية. بشكل مرئي ومسموع، يكرر الطقس الدوري حدثاً ماضياً جرى في الأزمنة الميثولوجية الأولى، يخرج خلالها المحتفلون بالعيد من زمنهم الدنيوي ويعيشون في تلك الأزمان المقدسة الأولى، وبذلك يتحول الإنسان من راصد لصيرورة العالم إلى مشارك في صنع هذا العالم⁵. فالمصريين القدماء كانوا يقيمون الطقوس في فترات

¹ فراس السواح، الأسطورة والمعنى، مرجع سابق، ص 130.

² أحمد أبو زيد، نظرة البدائيين إلى الكون، المجلد الأول، العدد الثالث، عالم الفكر، ص 60-61.

³ فراس السواح، مرجع سابق، ص 136-138.

⁴ المرجع نفسه، ص 142.

⁵ المرجع نفسه، ص 143.

الحصاد تقريبا للاله "مين" إله الخصوبة، وعند بعض قبائل أفريقيا كان لديهم رقصات طقسية طلبا لسقوط المطر¹.

المطلب الرابع: وظائف الطقوس

قدم منصف المحواشي في مقاله الطقوس وجبروت الرموز، مجموعة وظائف للطقوس، وقد ميز بين ما أسماه الوظيفة الظاهرة والوظيفة الكامنة للطقوس، فالأولى ترتبط بالغاية المستهدفة والمائلة في وعي الفاعلين الذين يدركونها عندما ينخرطون في النشاط الاجتماعي، أما الوظيفة الثانية فتتحقق من فعلهم دونما وعي أو قصد منهم، وتكون عادة غير مدرجة ضمن اهتماماتهم ووعيهم مسبقا. وقد ركز في هذا المقال على الوظائف الكامنة للطقوس كمايلي:

1- الطقس بين المقدس والمدنس:

في تمييزه بين المقدس والمدنس يذهب إميل دوركايم إلى أن الجماعة تفصل ما تعتبره مقدسا في نظامها الثقافي، وتحميه بجملة من الموانع و الشعائر، فالطقوس الدينية هي مجموعة القواعد التي تتخذها الجماعة في تعاملها مع المقدس، وتستحيل بذلك وسيلة للاتصال بالمقدس، يتم بواسطتها الدخول في حالة ذهنية جماعية تتسم بالقداسة، تتجلى عندما تنخرط الجماعة في ممارسة شعيرة أو احتفال ديني ما. فالممارسة الطقسية الدينية تضمن التواصل مع المقدس، حيث يجد المنخرطون فيها ضربا من التوازن الوجداني الذي يمكن أن يفتقدوه في تجربتهم وحياتهم الجماعية اليومية. فالانخراط في هذه الممارسات الطقوسية وخاصة الدينية منها، شبيه بضرب من العلاج التطهيري².

2- الطقوس ووظيفة التجيش:

تحتاج المجتمعات إلى تقوية وعيها الجمعي وتثبيته خلال مناسبات محددة. ومن هنا نتساءل عن الفرق مثلا بين اجتماع آلاف المؤمنين في الحج أو إقامة حفل رياضي جماهيري كبير؟ تقوي جميع هذه الاحتفالات بالطقوس التي تصاحبها المشاعر الجماعية الوعي الجمعي، كما تدعم انتماء الأفراد إلى النظام الأخلاقي القائم. ولا تمثل الطقوس في كل هذه الأمثلة هدفا في ذاتها، بل تدرك قيمتها من وظيفة الشحن التي تلازم الأنشطة الجماعية وخاصة الاحتفالية والدينية منها.

¹ ناجي عباس مطر، "الرقس الطقوسي، الطواف لترميم مركزية الذات"، مجلة كلية التربية، جامعة ذي قار، العدد التاسع والعشرون، ص77.

² منصف المحواشي، "الطقوس وجبروت الرموز"، مجلة إنسانيات، عدد 49، 2010، ص23 - 27.

فالأفراد من خلال الطقوس تتقد فيهم الروح الجماعية والضمير الجمعي، وينتقلون من كونهم أفراد فرديين إلى أفراد جماعيين، وقد أكد هذه الفكرة إميل دوركايم في كتابه الأشكال الأولية للحياة الدينية، فالأفراد يفتقدون إلى الطاقة الحيوية، ولكن وحدها الممارسات الجماعية و الطقوسية هي التي تجيش وتملاً هذا الفراغ، كما أن هنالك طاقة و عاطفة يولدها الفعل الطقوسي، تدخل الأفراد في حالة من الجيشان و توحد حسهم الجمعي ، ومثال هذه الطقوس الحج و الصلاة الجماعية و حفلات الرقص الجماعي الديني¹.

3- الفعل الطقوسي و النجاعة الرمزية:

الطقس يحدث تغييرا رمزيا على الأشياء والأشخاص. فكما يرى مارسيل موس بأنه يوجد الطقس حيثما يُنتج المعنى، أي ثمة تفكير ورمز، مثلا في آلية التكرار المصاحبة للطقوس و علاقتها بالزمن. يعني أن نحوي زمتا ماضيا ونقاوم تجدد زمن حاضر، الأمر الذي يسمح باستحضار تجربة أو حادثة متخيلة لتعاش من جديد. فتكرار الطقس، يسمح في الآن نفسه بالتحكم في الزمن رمزيا².

4- الطقوس ووظيفة التأسيس:

تستوجب عملية "العبور" إلى مكانة جديدة اعترافا وشرعية تسمح بها فعالية طقوس العبور والتأسيس، فالتأسيس لمركز اجتماعي أو مكانة ما، يعني أن يحظى الشخص "العابر" إلى المكانة الجديدة باعتراف وشرعية وامتيازات جديدة. فيساهم الاحتفال الطقوسي و ما يصاحبه من شعائر سحرية في تحقيق عملية العبور، ليحظى "المقام الجديد" بالشرعية والاعتراف. فمثلا في الطقوس الاحتفالية المصاحبة لعودة الحاج وطقوس تنصيب المسئول السياسي وغيرها، ثمة دوما عملية تأسيس وإضفاء للشرعية. فطقس العبور أو التأسيس يشير إلى وقوع انتقال من وضع إلى وضع. فبواسطة الطقس تبنى الحدود الرمزية بين المكانات القوية و المكانات الأقل قوة في سلم المواقع. كما يتحقق فعل التأسيس من خلال التكرار، فتكرار الشعائر يساهم في رسوخها وذلك ما يسميه بيير بورديو التطبع، لأن الطباع تترسخ تباعا عبر عمليات التكرار، فتكرار الطقس يدعم عمليات التنشئة و الاكتساب الثقافي، ويذهب بيير بورديو إلى أن التأثير الأكبر للطقوس يكمن في ما تمرره بخفاء³.

¹ منصف المحواشي، مرجع سابق، ص 25 - 30.

² المرجع نفسه، ص 30.

³ المرجع نفسه، ص 31 - 35.

الفصل الرابع:

أساطير وطقوس الاستمطار

"تاسليت نو أنزار"

والمعتقدات المرتبطة بها

الفصل الرابع: أساطير و طقوس الإستمطار "تاسليث نو أنزار" و المعتقدات المرتبطة بها

تمهيد:

رأينا في الفصول السابقة مفاهيم متعددة حول الدين و السحر و الطقس و الأسطورة، سنحاول في هذا الفصل التطبيقي، تحليل المعطيات التي جمعناها من الميدان من خلال المقابلات و الدراسات السابقة، ومحاولة تحليلها مع ما يتوافق مع الجانب النظري للوصول لإجابة عن تساؤلاتنا، والتساؤل الرئيسي المتمثل في: هل يمكن اعتبار هذه الممارسات الطقسية دين أم أنها مجرد ممارسات سحرية بدائية؟

الفصل الرابع: أساطير و طقوس الإستمطار "تاسليث نو أنزار" و المعتقدات المرتبطة بها

المبحث الأول: تحليل الأساطير المرتبطة بطقس الاستمطار "تاسليث نو أنزار"

المطلب الأول: نص أسطورة "تاسليث نو أنزار"

اعتمدنا في دراستنا على عدة روايات لأسطورة طقس الاستمطار منها ما جمعناه بالبحث الميداني ومنها من الدراسات السابقة التي أجريت حول الموضوع.

أولاً: رواية منطقة "تاغزوت" بالبويرة

خلال بحثنا الإثنوغرافي كان من الصعب جدا العثور على الأسطورة المتعلقة بطقس الإستمطار، في الأخير تمكنا من العثور على الأسطورة بمنطقة بلدية "تاغزوت" بشمال شرق ولاية البويرة بالضبط في قرية إمركلان، حيث تقام هنالك طقوس الإستمطار في أشهر "مارس، أفريل، ماي" أو كما بالأمازيغية "مغرس، ببيرير، ماقو"، فحوى هذه الأسطورة أن فتاة جميلة كانت تنزل إلى النهر دائما فأعجب بها ملك المطر الذي موطنه السماء، فطلب منها مرافقته، لكنها رفضت وقالت له: << أخاف من العار الذي يلحق بي، إذا رأني أهل القرية >>. فغضب ملك المياه و أمر الوادي الجاري بالجفاف فجف. فصنع أهل القرية مجسما لتلك الفتاة وخرجوا متضرعين له ليرفع عنهم غضبه¹.

ثانياً: رواية منطقة خراطة ببجاية

عثرت شهيرة بو خنوف في دراستها حول أساطير وطقوس الإستسقاء و إستقبال الربيع في منطقة خراطة ببجاية على رواية لطقس الإستمطار عند رواية واحدة، فحواها كالتالي:
في قديم الزمان كان يوجد ملك طائري يملك خاتما سحريا، و في أحد الأيام مر من الوادي فرأى فتاة جميلة تستحم فيه، فانبهر لجمالها و طلبها للزواج، فرفضت و غضب منها غضبا شديدا، فأدار خاتمه السحري فجف الوادي تماما، فلما علم ناس القرية سبب الجفاف توسلو إليها لتقبل الزواج منه، فقبلت و عاد الوادي للجريان².

ثالثاً: رواية قبيلة "أيت زيكي" بمنطقة القبائل

عثر هنري جينفوا على رواية شديدة الأهمية دونها من قبيلة أيت زيكي منطقة القبائل الجزائرية، وفحوى الرواية كالتالي:

في قديم الزمان، كان شخص اسمه أنزار، وهو ملك "سيد" المطر، أراد الزواج من فتاة رائعة الجمال تتألق حسنا على الأرض كالقمر في السماء، وكان وجهها ساطعا وثوبها من الحرير المتلألئ، وكان من

¹ محمد عجال، "تاغزوت" ولاية البويرة، 2018/04/5.

² شهيرة بو خنوف، "أساطير و طقوس الاستسقاء واستقبال الربيع في منطقة خراطة ببجاية"، مذكرة لنيل درجة الماجستير تخصص أدب عربي، جامعة مولود معمري تيزي وزو، 2012، ص143.

الفصل الرابع: أساطير و طقوس الإستمطار "تاسليث نو أنزار" و المعتقدات المرتبطة بها

عادة هذه الفتاة أن تستحم في نهر فضي البريق، وكان ملك المطر كلما هبط إلى الأرض، يدنو منها فتخاف، ثم تعود إلى السماء، لكنه ذات يوم قال لها:

ها أنا أشق عنان السماء aqli gzemgh d igenwan

من أجلك يا نجمة بين النجوم a yiwn g itran

فامنحيني من الكنز الذي وهبته fek yi akejjftd im fkan

وإلا حرمتك من الماء negh am kkesgh aman

فردت عليه الفتاة :

أتوسل إليك يا ملك المياه txilek ay agellid n waman

يا مرصع جبهته بالمرجان a bu teasat imerjan

إني نذرت نفسي لك nekk I kecc I wumi yid fkan

بيد أنني أخشى الأقاويل maana ugadegh imennan

وبعد سماع هذه العبارات قام من عليها، فأدار خاتمه، فنضب النهر على الفور، وجفت آثار الماء. فأصدرت الفتاة صيحة وتفجرت عيناها بالدموع، فالماء هو روحها، فخلعت ثوبها الحريري وظلت عارية، فخاطبت السماء قائلة:

أنزار يا أنزار anzar ay anzar

يا زهر السهول ay ajejjig

أعد للنهر جريانه asif err as d lainser

وتعالى خذ بتأرك ruh err d ttar

في تلك اللحظة بالذات لمحت ملك المطر، وقد عاد بهيئة شرارة برق ضخمة فضم إليه الفتاة، وعاد النهر إلى سابق عهده في الجريان، فاكتست الأرض كلها اخضرارا¹.

رابعا: رواية أمازيغ الريف بالمغرب

قدم نجم الدين جفالي رواية لأسطورة أنزار المعروفة عند أمازيغ المغرب نص الرواية كالتالي: «...أنزار إله المياه و الأمطار عند الأمازيغ، اسمه حرفيا يعني مطر، ملخصها أن فتاة عذراء كانت شديدة الجمال، مغرمة بالماء، فكانت تخرج كل يوم إلى النبع حيث البحيرة العذبة، فتلعب و تغتسل و في

¹ Genevois-Un rite d'obtention de la pluie: la fiancée d'anzar-actes du 2^{eme} congrès International d'étude des cultures de la meditterannée occidentale II, SNED, Algérie 1978.

الفصل الرابع: أساطير و طقوس الإستمطار "تاسليث نو أنزار" و المعتقدات المرتبطة بها

المساء تعود، و كان الإله أنزار يراقبها كل يوم، و وقعت في نفسه موقعا حسنا فأحبها، و ذات يوم أظهر نفسه لها، و خطبها لنفسه، و تحت الصدمة و الحياء، و الخوف من رد فعل الناس رفضت الفتاة، فصعد أنزار إلى السماء و منع مياهه، فتوقف المطر، و جفت الأنهار، و عم الجفاف، فجاء الناس من كل منطقة يرجون الفتاة أن تقبل عرض أنزار، قبلت في الأخير، فألبسوها لباسا أبيض، و حزام أسود، عصابة حمراء، و أخذوها إلى البحيرة يزفونها عروسا لإله المطر أنزار، نزل أنزار من علياه سعيدا، فأخذ عروسه و عاد إلى السماء، و صارت عروسه تظهر معه في كل مرة يحضر، فهي قوس قزح المعروف عند الأمازيغ بـ "هسليث نو أنزار" أي عروس أنزار، فاللون الأزرق من زرقة عينيها، و الوردية لون خديها، و الأحمر لون شفتيها، و هكذا كل لون يمثل شيئا من صفاتها...»¹.

كما لاحظنا فمعظم الروايات تتشابه مع اختلافات طفيفة في التفاصيل.

خامسا: رواية معجم الميثولوجيا الأمازيغية

أنزار هو رب الماء و المطر عند الأمازيغ، كلمة أنزار تعني المطر بالأمازيغية، فعندما ينقطع المطر يقوم الأمازيغ بطقوس الإستمطار وهي عادة استنكرها القديس أوغسطين عندما اعتنق المسيحية. أنزار هو زوج تيسليث، حيث كانت تسليث امرأة جميلة تسحر بجمالها الفتان، وكانت تلبس الحرير و تتزين بالحلي، تسليث كانت محبة للماء، فكانت ترتاد النهر دائما، رآها أنزار فأحبها و أراد أن يصارحها بحبه، لكن تيسليث التي هي قوس قزح كانت خجولة عفيفة و خائفة من أن يصيبها القوم بسوء الضنون، فعندما طلبها لنفسه رفضت، فغضب أنزار وانطلق مزجرا إلى السماء، فجف النهر و بدأت تيسليث بالبكاء و التضرع، فقبلت تاسليث حب أنزار فعاد إلى الأرض على شكل برق و أخذها إلى السماء.²

المطلب الثاني: خصائص أسطورة "تاسليث نو أنزار"

لقد حدد "مرسيا إلياده" خصائص الأسطورة³، سنحاول معرفة مدى تطابقها مع هذه الأسطورة التي

بين أيدينا:

1- تحكي الأسطورة تاريخا مقدسا، أي حدثا بدئيا حصل في بداية الزمن، وهو ما ترويه

هذه الأسطورة عن أحداث جرت في الماضي البعيد، أحداث جرت في البدايات الأولى للخلقة.

¹ نجم الدين جفالي، طقس الاستمطار الأمازيغي،

http://www.mondeberbere.com/religion/anzar/anzar_camps.htm

² ميثولوجيا أمازيغية، مكتبة وصال العربي، ص4.

³ مرسيا إلياده، المقدس و المدنس، ترجمة عبد الهادي عباس، دار دمشق، ط1، 1988، ص74، 73.

الفصل الرابع: أساطير و طقوس الإستمطار "تاسليث نو أنزار" و المعتقدات المرتبطة بها

- 2- شخصيات الأسطورة ليست كائنات بشرية، بل آلهة أو كائنات إلهية، وكما هو واضح في هذه الأسطورة فشخصياتها الرئيسية هي أنزار وهو ملك المياه وله قدرات عظيمة وهو كائن سماوي مقدس وهو ملك وسيد الماء وله القدرة على الخلق إلى جانب قدرات سحرية أخرى، وتاسليث وهي تارة فتاة وتارة نجمة من نجوم السماء.
 - 3- تؤسس لحقيقة مطلقة، فاعتبار أن أنزار هو ملك الماء وأن المياه تجف بسبب غضبه هي حقيقة مطلقة بالنسبة للمؤمنين بها، كما أنها تتكلم عما يحصل حقيقة، فهذه الأسطورة تلمس واقعا وحقيقة ألا وهو جفاف الأنهار وموسم القحط وعناء الناس من العطش وحاجة الماء للقيام بأعمال الزراعة.
 - 4- تتسم بالقداسة بالنسبة للذين يؤمنون بها، وهو الحال مع هذه الأسطورة التي يعتبرها المؤمنون بها حقيقة مقدسة.
 - 5- عادة ما تقترن الأسطورة بالطقوس، ولهذه الأسطورة العديد من الطقوس التي خصصنا لها مبحثا خاصا.
 - 6- نتحدث عن مواضيع شمولية كالخلق و البدايات الأولى، فهذه الأسطورة تتكلم عن قصة حدثت في البدايات الأولى في الزمن البدئي وقد جاءت كتفسير لظاهرة الجفاف وتساقط الأمطار والرعد وغيرها من الظواهر الطبيعية.
- مما سبق نلاحظ جليا بأن خصائص الأسطورة التي حددها مرسيا إلياده تتطابق تماما مع أسطورة الاستمطار، ومن هنا نستنتج بأن هذه الرواية هي أسطورة كاملة و ليست مجرد عناصر "ميثية" أو كما قيل.

المطلب الثالث: أسباب ضياع الأساطير في شمال إفريقيا

تعود قلة الأساطير بشمال إفريقيا إلى ضياع الكثير من نصوصها، وذلك لعدة أسباب منها العامل الديني، فالديانات المتعددة التي تعاقبت على شمال إفريقيا وعمل الزوايا و المدارس و غيرها و التي أجابت عن التساؤلات التي تطرحها الأساطير أدت إلى تراجع دور الأسطورة، وأصبحت الأسئلة التي تثار حول الخلق تعتبر شركا، فحلت الحكاية بأنواعها محل الأسطورة.

إلى جانب العامل الديني، يعتبر تغير البنيات الاجتماعية و الاقتصادية من ظهور الرأسمالية و المدرسة الحديثة التي تمجد الثقافة الكتابية على حساب الثقافة الشفوية¹، فالنقل الشفهي للثقافة يعتبر عائقا

¹ محمد أوسوس، كوكرا في الميثولوجيا الأمازيغية، المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية، الرباط، 2008، ص20-21.

الفصل الرابع: أساطير و طقوس الإستمطار "تاسليث نو أنزار" و المعتقدات المرتبطة بها

أمام انتشارها في المكان و استمرارها في الزمان، باعتبار الثقافة الشفوية تعبيرا أنيا لحظيا عن حاجيات المجتمع المتنوعة "نفسية، اقتصادية، سياسية، ثقافية...". فهذه الثقافة تزول بزوال الحاجة التي أنتجتها¹، هذه العوامل المهمة وغيرها أدت إلى أن الإنسان الحديث أصبح يرى الأساطير ضربا من الخرافة فتخلى عنها. وهو الحال مع أسطورة الاستمطار التي أصبح من الصعب جدا العثور على رواية متكاملة الأبعاد حولها، كما قد تتغير بعض التفاصيل و المفاهيم من رواية لأخرى، فمثلا أنزار في روايات يعرف بأنه إله الماء، وفي أخرى هو ملك الماء، لكون الثقافة المحلية الشمال أفريقية عرفت توافد ثقافات ما أثر عليها وأدخل فيها عناصر ثقافية جديدة، إضافة إلى أن هذه الروايات تنقل شفويا وهو ما يسهل في اندثارها، لكن و على الرغم من هذه التحديات لا تزال أسطورة أنزار قائمة.

¹ المصطفى فرحات، طقوس و عادات أهل "أبزو"، المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية، الرباط، 2007، ص43.

المبحث الثاني: تحليل الطقوس المرتبطة بطقس الاستمطار "تاسليث نو أنزار"

المطلب الأول: وصف طقوس الاستمطار "تاسليث نو أنزار"

خلال جمعنا للمعلومات حول طقس الاستمطار اعتمدنا على المقابلات الشخصية، وكذا الدراسات السابقة حول الموضوع، و تحليل الفيديوهات التي وثقت الطقس.

أولاً: طقوس بلدية تكوت ولاية باتنة

من خلال المقابلة مع الباحثة في اللغة و الثقافة الأمازيغية خديجة ساعد، حدثتنا عن طقس "أنزار" أو "بوغنجة" في منطقة الأوراس عموماً حيث زدتنا بالمعلومات التالية:

طقس "تاسليث نو أنزار" ويسمى أيضاً طقس "بوغنجة"، "غنجة" هي الملعقة بالأمازيغية، لأن الملعقة مقعرة ويمكنها التقاط أقل كمية من الماء والتي تبقى في الوديان والعيون شبه الجافة، لذلك سمي هذا الطقس ببوغنجة، أي عندما تصل درجة الجفاف إلى حد التقاط قطرات الماء بالملعقة فالأمر يستدعي الدعاء، هذا بالنسبة لسبب التسمية أما بالنسبة للطقس فعادة يقام أوائل ماي، بعد عودة الرحل من الصحراء نحو الجبال و أوائل الربيع، وقت دقيق جداً إذ تكون الحبوب بحاجة إلى سقاية، وأحياناً تقام في الخريف حسب ظروف المناخ، في العادة تؤخذ ملعقة تُلَبَّس مثل العرائس، ثم يبدأ الأطفال والنساء دورتهم حول كل بيت بالقرية لجمع الدقيق والزيت كما تقدم ماشية لنحرها أيضاً، وكل ما يلزم وجبة الغداء وهم يغنون:

الغراف بين الأودية Ayenja jar ayezran

يا ربي نحن عطشى a rebi nfod aman

بعدها تجتمع جميع النسوة لإعداد وجبة الشخوخة ولا شيء غيرها "سواء باللحم أو بدونه" و يكون ذلك في مكان مقدس، وهي أماكن غالباً ما ترتبط بأساطير و معتقدات دينية أو خوارق فوق طبيعية، فنُتخذ مزاراً يُتبرك به، ولعل أهم هذه الأماكن هي التي تقع فيها أشجار عرعر البخور والتي تسمى "تازنزنا، أيوال" وهي أشجار مقدسة في الأوراس ويمنع كسر أغصانها أو حرقها و يقال أن من يكسرها سيتعرض بدوره للكسر "ولكن هذا ليس في كل نواحي الأوراس".

الفصل الرابع: أساطير و طقوس الإستمطار "تاسليث نو أنزار" و المعتقدات المرتبطة بها

ثم يجمع الأطفال الصغار في مكان ويتم نكزهم لييكوا ويحن عليهم أنزار بالمطر، وأنزار هو إله المطر كما يطلق على المطر في حد ذاته¹.

و أضافت الباحثة أنه تختلف العبارات التي تردد أثناء الطقس فعند القبائل ينشدون:

أنزار أنزار يا ربي اسقيها حتى الجذر anzar anzar arebi seswit el azar

وفي تونس يقولون:

كيف تنبو يا صغار

حن علينا يا أمزار

بمعني كيف ستشربون يا صغار أحن علينا يا أنزار.

ويقولون :

القمح في الرواني حن علينا يا الفوقاني

الرواني وهي أواني ضخمة لحفظ الحبوب.

ثانيا: طقوس بلدية بوزينة بولاية باتنة

من خلال المقابلة التي أجريناها مع إحدى سكان بلدية بوزينة من ولاية باتنة، سردت لنا كيفية إقامة الطقس من قبل الأهالي، والذين لهم أسلوب خاص في الاحتفال بهذا الطقس، حيث يقوم أهل قرية بوزينة في موسم الجفاف بالباس الملحقة التي غالبا تستعمل في السقي ثوبا نسويا تقليديا جميلا يدعى "هالامث"، وغطاء رأس و حزام، ثم تثبت النساء الملحقة في عصا طويلة ويكون ذلك بشكل جماعي، ثم يرددن:

أنزار على الوادي يا رب لقد عطشنا anzar jar ayezran a rebi nfod aman

يأيتها السماء العليا ارحمينا أعطنا الماء ahejnwa iEalan serahmtha neEda aman

ثم ينطلقن بين بيوت القرية جميعها لجمع المئونة لإقامة "الزردة"، فيقدم كل بيت ما استطاع من مئونة فمنهم من يقدم "القمح، البطاطا، البصل، اللحم..."، وهكذا يجمعون المئونة مع الدعاء "ياربي أرزقنا... ياربي جيب الخير" حتى الوصول إلى المكان الذي ألبسو فيه الملعقة وزينوها فيقيمون ما يعرف بالزردة هنالك، وهي طهي الطعام بشكل جماعي مما جمعه من أهل القرية، فيتناولون الغداء و العشاء هنالك ثم يعودون إلى منازلهم عند حلول منتصف الليل².

¹ خديجة ساعد، تكوت باتنة، 2018/01/25.

² صبرينة وزين، بوزينة ولاية باتنة، 2018/02/24.

الفصل الرابع: أساطير و طقوس الإستمطار "تاسليت نو أنزار" و المعتقدات المرتبطة بها

ثالثا: طقوس قبيلة "أيت زيكي" بالقبائل

لقد قدم هنري جونوفوا وصفا لطريقة احتفال قبيلة "أيت زيكي" بالقبائل بطقوس "تاسليت نونزار"، تقام

الطقوس بالطريقة التالية:

تقوم سيدة مسنة من القرية تحظى بمكانة مميزة بتزيين فتاة على أنها عروس أنزار "تاسليت أونزار"،

وتسلمها مغرفة أغنجا، وطيلة مراحل التطواف تردد العروس أهازيج منها:

أيا أنزار المغرفة بيبست a yanzar, aɣenja yekkaw

اختفت علامات الخضرة iyab uzegzaw

عروسك تتوسل إليك tislit ghurk teɛna

أيا أنزار لأنها ترغب بك a yanzar, imi k teɣya

وخلال الجولة يتم رشها بالماء، ومنحها عطايا، ويتوجه الموكب إلى أحد الأضرحة والمزارات، وهو

يردد:

أنزار أنزار anzar anzar

أيها الملك كف عنا الجفاف ay agellid rez d ayurar

كي ينضج المحصول على الجبل a ttebbw nnɛma wdrar

وينمو منتوج السهل a tternu tin uzayar

وفي المزار يتم طهي الطعام من المواد المجموعة، وبعد ذلك تجرد المرأة المسنة العروس من ثيابها،

وتلفها عارية بإحدى الشبكات المستخدمة لنقل ضمات السنابل والعلف للدلالة على أنه لم يعد هناك في

الأرض أثر لعشب أخضر، حيث تطوف الفتاة حول الضريح سبع مرات، وهي تمسك بالمغرفة في يدها،

بحيث يكون رأس المغرفة "أغنجا" أمامها كما لو أنها تطلب ماء، ثم تردد واهبة نفسها لرب المطر¹:

يا سيد الماء، امنحني الماء ay at waman, awi t id aman

إني أهب روعي لمن يريدونها nefka tarwiht I wit yeɣyan

وتنتهي الطقوس باجتماع الفتيات البالغات سن الزواج حول الفتاة المجسدة لعروس أنزار، ويبدأن

¹ Genevois-Un rite d'obtention de la pluie: la fiancée d'anzar-actes du 2^eme congrès International d'étude des cultures de la meditterannée occidentale II, SNED, Algérie 1978.

الفصل الرابع: أساطير و طقوس الإستمطار "تاسليث نو أنزار" و المعتقدات المرتبطة بها

بلعب ما لعبة تعرف باسم زرزاري، أو تاكورا، أو شيرًا، أو أوجًا في مناطق أخرى. ويتم فيها اللعب بكرة من الفلين، أو من عظم، أو خشب، أو صوف، بمضارب وعصي، حيث يتم التنازع عليها حتى يتمكن أحد اللاعبين أو اللاعبات من إسقاطها في حفرة، إذ تمثل الكرة المرمية في الحفرة البذرة المزروعة، فإذا حدث ودخلت الكرة إلى الحفرة ذلك تردد العروس والفتيات أهازيج أخرى.

وتختتم الطقوس واللعبة بدفن الكرة حيث الحفرة، وتعود النساء أدراجهن إلى بيوتهن قبل غروب الشمس.

رابعاً: طقوس ولاية الأغواط

كانت تمارس هذه الطقوس قديماً في مدينة الأغواط، حيث يخرج الأطفال ذكورا وإناثا إلى الشارع حاملين ملعقة كبيرة يزينون وجهها ويلبسونها لباساً تقليدياً يعرف بـ "القنبوز"¹، ويحملون قفة ليضعوا فيها كل ما يجمعونه من السكان من لوازم طهي من "طماطم، تمر، حطب، فول، شحم، فلفل، عود ثقاب..." ويقومون بالجمع وهم يرددون:

إلي تعطينا الفويلة ربي يعطيها الطفويلة

ولي تعطينا لعويد ربي يعطيها الطفيل

كما تقوم بالطهي فتاة من الحي، ثم يوزعون الطعام على أهل الحي ممن ساهموا بالحفل،

ويتضرعون بهذه العبارات أملاً في تساقط الأمطار وفي موسم وفير:

بوقنجة وجعو راسو يا ربي يملخ راسو

القدوة تصب النو جلجالة جلجالة باش تعيش الرجالة

ويقال بو قنجة بدل بوغنجة لأن سكان الأغواط يقلبون الـ"غ" إلى "ق"، شكل (10).



¹ حرز الله نسيم، ولاية الأغواط، 2018/01/10.

الفصل الرابع: أساطير و طقوس الإستمطار "تاسليث نو أنزار" و المعتقدات المرتبطة بها

شكل(10): احتفال بطقس أنزار بالأغواط في الوقت الحالي، يظهر أطفال إلى جانب مجسم

"تاسليث" أو "تلغنجا".

المصدر: حرز الله نسيم، ولاية الأغواط.

خامسا: طقوس عين الصفرا بولاية وهران

تقدم الباحثة ألفريد بل سنة 1905 بمناسبة انعقاد المؤتمر الرابع عشر للمستشرقين بالجزائر العاصمة، ببحث مطول حول " بعض طقوس استئزال المطر إبان الجفاف لدى المسلمين بالمغرب" عرض فيه وصف لطقوس الاستمطار لمناطق مختلفة بالجزائر وقد وصف تلك الطقوس كالتالي:

«...تجتمع النساء المسنات والأطفال الصغار بمنزل معين و تحضر كل أسرة معها شيئا من الدقيق، و يتم وضع هذا الدقيق بطبق واحد أو عدة أطباق عريضة ومسطحة من الخشب "الكصعة"، و يتم عجنه بالزبدة و التمر بهدف صنع الروينة، بعد ذلك يتم إلباس ملعقة خشبية كبيرة عدة خرق بشكل يجعل منها دمية في حلة عروس تسمى "غنجة". يتم الطواف بهذه الدمية على أضرحة الصلحاء المحليين، و يقوم الناس الذي ظلوا خارج المنزل سابق الذكر، إضافة إلى أولئك الذين يلاقون موكب النساء المسنات و الأطفال، برش الماء أو الحليب على الفنتين الأخيرتين، فيما يقوم الأشخاص الذي يشكلون الموكب بأداء النشيد التالي و هم مشاة:

غنجة غنجة حلت راسها يا ربي تبل خراسها

السبولة عطشانة رويها يا مولانا

عند وصول الطواف إلى قبر احد الصلحاء، يتم إحراق البخور و رش جدران الضريح بالحناء، ثم يتم توزيع " الروينة" كصدقة على الأشخاص الذي لحقوا الموكب...»¹.

سادسا: طقوس ولاية تلمسان

كما قدم ألفريد بل وصفا لطقوس الاستسقاء بمنطقة تلمسان التي تقام كالتالي:

«...تحضر نخبة تلمسان و تتم دعوة كل السكان من الصغار والكبار و الأغنياء والفقراء يجب أن يتذوقوا من الطعام الموزع و عند انتهاء الناس من الأكل، يتم نثر بقية الكسكس على الأرض لتأخذ الطيور حصتها منه ينتهي هذا الحفل القروي بدعاء جماعي، يتم من خلال توجيه راحة اليد نحو الأرض طيلة المدة التي تستغرقها عملية التوسل لهطول المطر، يحفظ للأطفال و الفتيات الصغيرات دورهم .

¹ ألفرد بل، " بعض طقوس استئزال المطر إبان الجفاف عند المسلمين بالمغرب"، ترجمة سمير آيت أو مغار، جامعة القاضي عياض، مراكش، 2013، ص31.

الفصل الرابع: أساطير و طقوس الإستمطار "تاسليث نو أنزار" و المعتقدات المرتبطة بها

فالأطفال المنتمون لنفس الحي يجتمعون و يطوفون بالأزقة المجاورة لمنازلهم بدمية تسمى غنجة، مشابهة لتلك التي وصفناها سابقا. و ينشدون و هو يمشون المقاطع التالية:

يا غنجة غنجة طالب الرجا

يا ربي تعطينا الشتا

جلجالة جلجالة باش تعيش الهجالة

السبولة عطشانة غيثها يا مولانا

الزرع صفر ورقها غيثها يا من خلقها...»¹.

سابعاً: طقوس منطقة "أبزو" بالمغرب

نقل المصطفى فرحات في كتابه طقوس و عادات أهل أبز طقوس الاستسقاء في المنطقة وهي

كالتالي:

تقوم النساء و الأطفال و الفتيات بالباس ملعة كبيرة الحجم ومصنوع من الخشب، ويطوفون به من

بيت إلى بيت محمولا إلى أعلى متوسلين إلى الله و مرددين:

تاغنجا يارب الرجا

يارب اتعطينا الشتا

الشتا بمعنى المطر

و تستقبلهم ربات البيوت بالرش بالمياه و إعطائهم شيئاً من الدقيق و السكر و غيرها، ثم يطبخون

الطعام في أحد المساجد أو في أضرحة الأولياء الصالحين².

ثامناً: طقوس أمازيغ الريف بالمغرب

نقل نجم الدين جفال طقوس الإستمطار عند أمازيغ الريف وهي كالتالي:

في موسم الجفاف يخرج الأمازيغ بالريف المغربي بمجسم يلبسونه لباساً أبيض وحزام أسود يمثل

عروس أنزار، وفي طقس احتفالي يشبه العرس، توزع الحلوى و اللوز على الصغار، ثم يخرج الموكب

باتجاه أقرب واد أو نبع ماء، مرددين أهازيج كثيرة أكثرها تعبيراً هي التي تقول:

ay anzar ay anzar يا أنزار

attut hametna g udrar فليسقط المطر على الجبل

¹ألفرد بل، مرجع سابق، ص32.

² المصطفى فرحات، مرجع سابق، ص44.

الفصل الرابع: أساطير و طقوس الإستمطار "تاسليث نو أنزار" و المعتقدات المرتبطة بها

w am usuggas iEaddan و مثل العام الماضي

essezlaneyd iyezran أجري لنا الأنهار

ay anzar ay anzar يا أنزار يا أنزار

hamurt attay haqqur هاهي الأرض و قد جفت

att iEadda fellas yur و مر عليها شهر

ayenja jar iyezran المرفع بين الأودية

a rabbi neffud aman أيها الرب عطاشي و نحتاج الماء

توضع الدمية عند الوادي و يعود الزافون و عند سقوط المطر يذهب الأطفال إلى الوادي، فإذا عثروا على الدمية، فذلك يعني أن أنزار لم يقبل العروس، و إذا لم يجدها عادوا فرحين أن العروس قد قبلت¹، شكل(11)



شكل(11): الملعة "تلغنا" مزينة.

المصدر: مجلة الثقافة الشعبية، السنة 4، العدد 14، ص84.

تاسعا: طقوس "واحة سكورة" بجنوب المغرب

¹نجم الدين جفالي، طقس الاستمطار الأمازيغي،

الفصل الرابع: أساطير و طقوس الإستمطار "تاسليث نو أنزار" و المعتقدات المرتبطة بها

في "واحة سكورة" بجنوب المغرب تبدأ طقوس الاستسقاء باستيقاظ النساء باكرا صباح يوم الجمعة الذي يعتبر يوما مقدسا دينياً وثقافياً عند كل من المسلمين الأمازيغ، والأمازيغ اليهود، و إعداد فطور خاص بهذا اليوم مكون من طبق اللوز والتمر وحساء الشعير بالحليب، إضافة إلى إعداد أنواع كثيرة من الخبز المحلي، فتقوم النساء بالتزين وارتداء اللباس التقليدي المحلي ووضع الحلي الفضية الخاصة بالمناسبات الاحتفالية، ووضع مسحوق الكحل في أعينهن ومشط شعرهن ودهنه بزيت الزيتون ورشه بالقليل من ماء الورد، وتنظيف أسنانهن بالسواك وتخضيب أيديهن وأرجلهن بالحناء.

تقوم النساء والصبية في هذا اليوم بحمل دمية على شكل عروس وهي مغرفة خشبية مكسوة ومزينة "تلا غنجا" وتسمى "تاسليث نونزار" أي عروس المطر، والطواف بها عبر دواوير وأراضي المنطقة وأضرحتها، فيطوفون في موكب تتداخل فيه مظاهر الاحتفال بمظاهر طلب الغيث والرجاء، فتقوم امرأة مسنة داخل هذا الموكب بغناء مجموعة من الأغاني المحلية القديمة وبترداد "الزغاريد" و تقوم النساء الأصغر سنا والأطفال الذين يرتدون ملابس تقليدية بيضاء اللون، بترداد ما تقوله المرأة الطاعنة في السن والتي تحمل دمية عروس المطر، وذلك عدة مرات وبدون توقف كالتالي:

أشتا صبي صبي أوليدائك فيقبي

أزرع يابس ورقو غيتو يا من خلقو

أزرع فلبوبلة غيتها يا مولانا

تاغنجا يلا يلا طيح الشتا بلا كلا

الشتا تاتاتا سعدات الحرثة

تاغنجا حلات رأسها يا ربي تبل خراسها

ياعزيز يا جبار غيت عبادك بالمطر¹.

المطلب الثاني: تحليل طقوس الإستمطار "تاسليث نو أنزار"

الطقس عبارة عن محاكاة للأسطورة و تجسيد لها، إذ يهدف إلى إثارة فعل أنزار المخصب، عبر التأثير فيه جنسياً، وتقديم عروس عارية له، تمثل العروس الأسطورية التي تحكي عنها الأسطورة، وذلك بهدف استمطار أنزار. ومما يدعم ذلك، أن النساء في نواحي أكادير بجنوب المغرب كن يذهبن في الماضي أثناء الجفاف إلى ضفة واد سوس، وهن يرددن الأهازيج، ويتجردن من ثيابهن، ويظللن عاريات، حيث

¹حنان حمودا، الماء كمنشط أنثروبولوجي لإنتاج الطقوس بواحة سكورة جنوب المغرب، مجلة إضافات، جامعة محمد الخامس، الرباط، 2016، ص148-151.

الفصل الرابع: أساطير و طقوس الإستمطار "تاسليت نو أنزار" و المعتقدات المرتبطة بها

يحاولن استثارة المطر، فهن بذلك يعشن طقسيا الأسطورة، ويكررن ما قامت به عروس المطر المستحمة في النهر عارية، حيث أثارت غريزة الملك أنزار الذي أعقد عليها من سائله، فاخضرت الأرض. إنهن عن غير وعي، يتخلصن من الزمن التاريخي و يستعدن الزمن الأسطوري الذي جرى فيه الحدث البدئي أي الزمن الأسطوري المقدس.

أجمع الباحثون على وحدة طقوس الاستسقاء "تلغنجا" بشمال إفريقيا، لأنها ترتبط بنسق رمزي واحد ومتشابه، وتستند إلى خلفية أسطورية قديمة، ورؤية واحدة لعلاقة السماء بالأرض، ولموقع الإنسان في هذا العالم، وهي طقوس تتفق في تجسيد "تاسليت" الأسطورية، سواء بمجسم "ملعقة" أو امرأة حقيقية، وحملها كعروس في موكب مناظر لموكب الزفاف الإنساني نحو زوجها أنزار، ويتم رشها في الطريق بالماء كما يتم بالنسبة لعروس حقيقية في احتفالات الزفاف الشمال إفريقية، لمحاكاة هذه الزيجة الكونية المقدسة، حيث تمثل تاسليت الأرض ويمثل أنزار السماء، وذلك لاستسقاء الأرض بالسائل المطري¹، شكل (12).



شكل (12): امرأة من قرية آيت تسعديت ببلدية امزرانة بمنطقة القبائل بالجزائر، تقوم برش النسوة بالماء أثناء قيامهن بطقوس "تاسليت نو أنزار".

المصدر: youtube- إحتفال بطقس أنزار - قرية آيت تسعديت ببلدية امزرانة

إن هذه الزيجة الكونية تجدد خلق الحياة عبر سقي الأرض، وإخصابها، وتحقيق تواصل بين السماء والأرض، مجسدا بقوس قزح الذي يسمى عموما في أغلب المناطق الأمازيغية باسم تاسليت أو أنزار "عروس المطر" والذي يعتقد به في نواحي أكادير بالمغرب مثلا أنه ملتقى الأرض والسماء. فقوس قزح "تاسليت أنزار" بألوانه المتعددة كألوان ثوب العروس، وكما يدل على ذلك اسمه، يمثل في المخيلة الشمال إفريقية القديمة الأرض، وقد زفت لأنزار الذي خصبها².

¹محمد أوسوس، دراسات في الفكر الميثي الأمازيغي، المهد الملكي للثقافة الأمازيغية، 2007، ص 16-17.

²محمد أوسوس، مرجع سابق، ص 18.

الفصل الرابع: أساطير و طقوس الإستمطار "تاسليث نو أنزار" و المعتقدات المرتبطة بها

المطلب الثالث: طقوس الإستمطار و طقوس الزواج

إن فهم دلالات طقوس الاستمطار يسمح لنا بفهم الخلفية الثقافية للكثير من الطقوس و الممارسات في احتفالات الأعراس الشمال إفريقية، والتي منها رش العروس بماء العيون أو جعلها تستحم في النهر، أو الذهاب "للحمام الشعبي"، أيضا في كثير من المناطق الشمال افريقية عند قدوم العروس إلى بيت الزوج تقوم برمي حبات اللوز إلى السماء لتسقط كحبات المطر، فيتخاطفها الأطفال، شكل (13).



شكل (13): عروس من قرية آيت لمسلة بمنطقة القبائل بالجزائر، أثناء رميها للجوز و المكسرات والحلوى محاكية تساقط المطر وذلك اعتقادا منهم لجلب الخصوبة و الذرية.

المصدر: Mariage traditionnel-village lemssele-youtube

كما أن هنالك طقس في الأعراس الشمال الإفريقية معروف بـ"الحزام"، ويقام "بصبيحة العروس" و المقصود به أول صباح للعروس في بيت زوجها، وتختلف طقوس الاحتفال به، فهناك من يقيمه في صبيحة اليوم السابع من العرس، حيث تقوم العروس بلبس ما يعرف بـ"بالحاف" وهو ثوب تقليدي، وتقوم عجوز كبيرة في السن أو أخ العريس الأصغر "حسب اختلاف المناطق و العادات" بإلباس العروس حزاما يسمى "البثور" وهو حزام مصنوع من الصوف غالبا، ومخضب بألوان قوس قزح، هذا الطقس مهم جدا لما له من دلالات، فلا يُعتبر الزواج قد تم إلا به، حيث تعتبر هذه "الأنثى" من تلك اللحظة زوجة، ولها مسؤوليات معينة، فالأنثى قبل الزواج لا يحق لها لبس "البثور"، فمن الواضح جليا أن ألوان "الحزام" استمدت من ألوان قوس قزح، و أن دلالات هذا الطقس تدور حول فكرة اقتران تسليث "الأنثى" بأنزار "الذكر"، وزواجها منه، فالإنسان الشمال إفريقي هنا يحاكي طقوس الزواج الكوني و يضيفي بها شرعية على زواجه. ولربما أصبحت الأجيال الحديثة تقوم بهذه العادات دون فهم دلالاتها، لكون هذه العادات تشكلت رواسب ثقافية ليس إلا.

الفصل الرابع: أساطير و طقوس الإستمطار "تاسليث نو أنزار" و المعتقدات المرتبطة بها

فهذه الأمثلة توضح أن هذه الطقوس تتدرج في نفس رمزية الخصوبة والإحياء مع طقوس "تاسليث أونزار"، فكما أن سكب الماء على "تاغنجا" في طقوس الاستمطار على سبيل المثال يؤدي إلى استنزال المطر، فإن رش العروس يهدف إلى إخصاب العرائس والأرض معا شكل(14).



شكل(14): امرأتين من منطقة الأوراس ترتديان في وسطهما الحزام المخضب بألوان قوس قزح

المعروف بـ"البثورور"

كما أن "تلغنجا" أو الملعقة، رمز للأنوثة بحيث هي أداة مطبخية وعائية بطبعها، حاضنة للسوائل، فهي تستعمل لاغتراف الماء أو المرق أو غيره، أو لسقي الكسكس، وتأديتها لفعل السقي قد يبرر استخدامها في الاستمطار. لكونها مقعرة، مجوفة، مثلها في ذلك مثل الحفرة التي ترمى فيها "تاكورا" تلك اللعبة التي تُلعب أثناء طقس الاستسقاء فالكرة رمز الماء و البذر. والتجويف عادة ما يرمز إلى عضو التأنيث أي العضو التناسلي للمرأة¹.

الطقس يعكس رؤية كونية تتأسس على ثنائيات، تنبني عليها طقوس تاغنجا وأعراس الأمازيغ وميث تاسليث أونزار، وهي ثنائية الأرض-السماء، الأنثى-ذكر، تاسليث-أنزار. وتشكل مبدأ الخلق في التقاليد الشمال إفريقية، وتعد بنيات راسخة في ثقافة الأمازيغ الشعبية، بحيث تنعكس على سلوكيات وعلاقات الأفراد في المجتمع التقليدي.

¹محمد أوسوس، مرجع سابق، ص21-23.

مما سبق ومما جمعناه من الميدان ومن الأعمال النظرية التي اعتمدنا عليها في دراستنا، خلصنا إلى عدة نتائج حول الموضوع وتمكنا من التحقق من الفرضيات بعد تحليل المعطيات، والفرضية الأولى والتي ذهبنا فيها إلى أن "عناصر الميث" قد تبلورت مشكلة أسطورة. تحققنا منها عند إخضاع الروايات التي بين أيدينا إلى طرح مرسيا إلياده حول خصائص الأسطورة، حيث توفرت جميع المعايير التي وضعها في هذه الأسطورة ومن هذا تحققت فرضيتنا هذه. وهذا على عكس ما ذهب إليه إميل لاوست وهنري باسي وغيرهما من الباحثين، الذين ذهبوا إلى أن هذه الروايات لم ترتق لتشكّل أسطورة. أما الفرضية الثانية التي تمثلت في أن الأسطورة تحوّرت ولم تتبق سوى عناصر الميث، فمن خلال الروايات التي عثرنا عليها خلصنا إلى أن هنالك تغيير في نص الأسطورة وتحور كبير، وقد أشرنا إلى أسباب ضياع الأساطير سابقا، لكن هذا التحور لم يصل لدرجة تززع بنية الأسطورة أو تشوه معالمها، فمثلا أنزار في بعض الروايات هو رب المياه، وفي أخرى هو سيد الماء، وذلك لكون اعتبار أنزار إله في مجتمع احتضن الثقافة الإسلامية هو ضرب من الشرك، فأصبح أنزار سيد وليس إله المياه ولكن له قدرات خارقة، كالخلق و المنع وغيرها. بمعنى أن الأسطورة عرفت تحور لكن ليس لحد ضياعها فقد تمكنت من الصمود، كما وضحنا سابقا.

إن طقس "تاسليث نو أنزار" هو من الطقوس الدورية التي تُعيد قصة الخلق الأولى، وهي عبارة عن محاكاة طقسية، جسّد فيها الإنسان الشمال إفريقي القديم الأسطورة التي فسرت له أصل ظاهرة الغيث، وهو يساعد بطقوسه التضريعية أسياذ الطبيعة على القيام بمهامها، وهذا أقرب إلى الطقوس السحرية التي تقوم على المبدأ التشابهي، حيث و برشّ الماء على الملعقة أو بالقيام بلعبة "تاكورث" وإدخال الكرة في جوف الأرض، هذا سيساعد المطر على الهطول، لكون الإنسان القديم فسّر قيام الكون على ثنائية الأنثى-الذكر، السماء-الأرض، وقام بإسقاط نظام حياته على نظام الكون، وتعامل مع الظواهر انطلاقا من ذلك. كما أن أسطورة أنزار هي من الأساطير التكوينية التي فسرت لنا نشأة عناصر الطبيعة "الغيث" في البدايات الأولى، وكما نلاحظ أن هذه الأسطورة و كذا الطقوس تدور حول معتقد معين، قد تعمل على تقويته ويعمل هو "أي المعتقد" على إذكائها و إعطائها المحفّز وكذا الشرعية، بحيث أن الطقس يسمح للجماعة بمشاركة خبراتها الدينية فيتحول الدين من خبرة ذاتية إلى ممارسة فعلية جماعية، فكما نلاحظ هنا هنالك توفر للعناصر المكونة للدين من معتقد وطقس وأسطورة، وهو ما يعكس لنا أن هذه الممارسات كانت عبارة عن دين شمال إفريقي قديم، لربما يعود لنهاية العصر "النيوليتي" وهو دين المجتمعات الزراعية" وبدايات العصر "الكالكوليتي" عصر الانقلاب الذكوري أين أحس الإنسان بقيمة الذكر في عملية التخصيب بعدما كان يعزي

الفصل الرابع: أساطير و طقوس الإستمطار "تاسليث نو أنزار" و المعتقدات المرتبطة بها

كل الفضل في الخصوبة إلى الأنثى. فهذه هي الإجابة على سؤال البحث الرئيسي و المتمثل في: " هل شكلت طقوس الاستمطار هذه ظاهرة دينية؟"، ومنه فهذا الطقس هو عبارة عن مكون من مكونات دين شمال إفريقي قديم، شكل ظاهرة دينية فيما مضى.

بالإضافة إلى النتائج التي توصلنا لها حول موضوعنا، يمكن أن نظيف استنتاجا من خلال تحليل المعطيات النظرية و الميدانية، هو أن الدين و السحر ظاهرتان متداخلتان، من الصعب الفصل بينهما فيمكن أن نعتبر طقوس الاستمطار دين، لكنها لا تخلو من الممارسات السحرية المحاكاتية التي تقوم على مبدأ السحر التشابهي، و إن كان وجود الأسطورة و الفعل الجمعي دليل على أن هذه الممارسات عبارة عن دين، باعتبار أن الفرق بين الدين و السحر يكمن في توفر الأسطورة في الممارسات الدينية و غيابها في الممارسات السحرية ووجود التعويضات عوضا عن ذلك، إلا أن طقوس الاستمطار ورغم توفر الأسطورة إلا أنها لا تخلو من التعويضات التي تتردد أثناء الطقس.

خاتمة

في ختام هذا البحث، الذي درسنا فيه عنصر من عناصر ثقافة شمال إفريقيا، تمكنا من إثبات فرضية أن طقوس الاستمطار شكلت ظاهرة دينية، وذلك لقيامها على أسس الدين المتمثلة في الطقوس و الأساطير و المعتقدات، رغم التشكيك في تكامل الأسطورة من قبل بعض الباحثين، إلا أن هذه الأسطورة تتطابق مع شروط الأسطورة التي وضعها الباحث في الميثولوجيا مارسيا إلياده، هذا الباحث الذي قارن بين العديد من الميثولوجيا الشرق أوسطية والأسبوية و غيرها، وخلص إلى الخصائص التي تميز الأسطورة، فالمجتمعات الشمال افريقية القديمة عرفت الدين كسائر المجتمعات الإنسانية، ذلك الدين الذي امتزج بالطقوس السحرية.

من خلال الخلفيات النظرية الأنثروبولوجية و الإجتماعية، والمصادر التاريخية التي قدمت وصفا للطقوس، أخضعنا هذه الطقوس للتشريح الأنثروبولوجي، بهدف الكشف عن ماهيتها، ومحاولة لفهم ذهنية الإنسان الشمال إفريقي و لفهم تاريخه، وكذا تفسير بعض الطقوس التي لا تزال تلازم مناسباته المهمة، لكون تلك المعتقدات شكلت ولفترة طويلة بالنسبة له الحقيقة المطلقة، وكانت تلك الطقوس بالنسبة له سبيلا للتواصل مع العوالم المقدسة، كما وشكلت تلك الأساطير التفسير القاطع لما يجري من حوله.

إن محاولة فهم ما يتعلق بالإنسان من ثقافة، هو سعي لفهم الإنسان نفسه، كونه جوهر الثقافة، فرغم اختلاف ما يظهره من عادات و تقاليد وغيرها إلا أن جوهره واحد.

هذا البحث هو جهد بسيط بحاجة إلى تطوير، للكشف أكثر عن التراث الشمال إفريقي و الإنساني

ككل.

قائمة المصادر

والمراجع

أ- الكتب بالعربية:

- 1- إ. أجيمس، الأساطير والطقوس في الشرق الأدنى القديم، ترجمة يوسف شلب الشام، دار التوحيدي للنشر، الطبعة الأولى 1998.
- 2- أحمد أبو زيد، نظرة البدائيين إلى الكون، المجلد الأول، العدد الثالث، عالم الفكر.
- 3- أحمد كمال زكي، الأساطير، الهيئة العامة لقصور الثقافة، ط2، 2000.
- 4- ألفرد بل، "بعض طقوس استئزال المطر إبان الجفاف عند المسلمين بالمغرب"، ترجمة سمير آيت أو مغار، جامعة القاضي عياض، مراكش، 2013.
- 5- أودلف آرمان. ديانة مصر القديمة، ترجمة عبد المنعم أبو بكر ومحمد أنور شكري، مكتبة مدبولي، ط1، القاهرة، 1995.
- 6- أوين ديفيز، السحر، ترجمة رحاب صلاح الدين، ط1، هنداوي للتعليم و الثقافة، 2014
- 7- برنسلو مالمينوفسكي، السحر والعلم والدين، ترجمة فيليب عطية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط1، 1995.
- 8- بول غليونجي، طب و سحر، دار القلم، القاهرة.
- 9- جيمس فريزر، أدونيس أو تموز، ترجمة جبرا إبراهيم جبرا، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط2، 1979.
- 10- جيمس فريزر، الغصن الذهبي دراسة في السحر و الدين، ترجمة أحمد أبو زيد، ج1، ط2، الهيئة العامة لقصور الثقافة، 1998.
- 11- خزل الماجدي، أديان و معتقدات ما قبل التاريخ، دار الشروق، عمان، 1998.
- 12- ريرتسن سميث، محاضرات في دين الساميين، ترجمة عبد الوهاب علوب، المجلس الأعلى للثقافة، 1997.
- 13- رينيه باسيت، أبحاث في دين الأمازيغ، ترجمة حمو ب شخار، دفاتر جهة نظر، ط1، 2012، الرباط.
- 14- سهيل رزق دياب، "مناهج البحث العلمي"، غزة، فلسطين.
- 15- سيجموند فرويد، الطوغم والتابو، ترجمة بوعلي ياسين، ط1، دار الحوار سوريا اللاذقية، 1983.
- 16- سيد القمني، الأسطورة و التراث، المركز المصري لبحوث الحضارة، ط3. 1999.

قائمة المصادر والمراجع

- 17- عمر محمد صبحي عبد الحي، الفكر السياسي وأساطير الشرق الأدنى القديم، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع.
- 18- غانم محمد الصغير، مواقع و حضارات ما قبل التاريخ في بلاد المغرب القديم، دار الهدى، ط 1، عين مليلة، 2003.
- 19- فراس السواح، الأسطورة و المعنى، دار علاء الدين للنشر، دمشق، ط2، 2001.
- 20- فراس السواح، دين الإنسان، بحث في ماهية الدين ومنشأ الدافع الديني، ط 4، دار علاء الدين، دمشق، 2002.
- 21- فراس السواح، دين الإنسان، بحث في ماهية الدين ومنشأ الدافع الديني، ط 3، دمشق 1998 (ط 1، 1994).
- 22- فراس السواح، لغز عشتار، دار علاء الدين، دمشق، سوريا، ط8، 2002.
- 23- مارسيا إلياد، تاريخ المعتقدات و الأفكار الدينية، ترجمة عبد الهادي عباس، ج1، دار دمشق، ط1، 1986.
- 24- محمد أسوس، دراسات في الفكر الميثي الأمازيغي، المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية، الرباط، 2007.
- 25- محمد الجوهري، الدراسة العلمية للمعتقدات الشعبية، ط 1 ، دار الكتاب، القاهرة، 1978.
- 26- محمد الخطيب، الإثنولوجيا" دراسة عن المجتمعات البدائية"، دار علاء الدين للنشر والتوزيع.
- 27- محمد أسوس، دراسات في الفكر الميثي الأمازيغي، المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية، 2007.
- 28- محمد أسوس، كوكرا في الميثولوجيا الأمازيغية، المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية، الرباط، 2008.
- 29- محمد عبد الله دراز، "الدين، بحوث ممهدة لدراسة تاريخ الأديان"، دار القلم، الكويت.
- 30- مرسيا إلياد، أسطورة العودة الأبدي، ترجمة نهاد خياطة، كتب الدار، دمشق، ط1، 1987.
- 31- مرسيا إلياد، مظاهر الأسطورة، ترجمة نهاد خياطة، دمشق 1987.
- 32- مرسيا إلياد، المقدس و المدنس، ترجمة عبد الهادي عباس، دار دمشق، ط1، 1988.
- 33- المصطفى فرحات، طقوس و عادات أهل "أبزو"، المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية، الرباط، 2007.
- 34- مهدي محمد القصاص، علم الاجتماع الديني، كلية الآداب، جامعة المنصورة، 2008.
- 35- نبيلة إبراهيم، أشكال التعبير في الأدب الشعبي، دار النهضة، القاهرة.

36- هنري برجسون، منبع الدين و الأخلاق، ترجمة سامي الدروبي و عبد الله عبد الدايم، الهيئة المصرية للتأليف و النشر، 1971.

37- هنري برجسون، منبع الأخلاق والدين، ترجمة سامي الدروبي و عبد الله عبد الدايم، دار القلم للملايين بيروت-لبنان الطبعة 1 القاهرة 1945.

38- يوسف شلحت، نحو نظرية جديدة في علم الاجتماع الديني، ط1 ، دار الفرابي، بيروت، 2003.

ب- كتب بالاجنبية:

1- Basset, Henri- Essai sur la littérature des berbères (1920)- Réédition Ibis press-awal- 2001.

2- Genevois-Un rite d'obtention de la pluie: la fiancée d'anzar-actes du 2'eme congrès International d'étude des cultures de la meditterannée occidentale II, SNED, Algérie 1978.

3- Jean Paul roux, la religion des turcs et des Mongols, Payot, 1984.

4- Laoust, Emile - Mots et choses berbères- Société Marocaine D'éditions- Collection Calques- Rabat- 1983.

5- MARTINE SEGALEN :« Rites et Rituels Contemporains », Éditions Nathan, Paris, 1998.

6- Philippe Sellier, qu'est ce qu'un mythe littéraire ? revue Littérature, Paris, 1984.

7- Pierre Brunel, dictionnaire des mythes littéraires (préface), ed du rocher, Paris 1988.

8- Sallustius Crispus, Bellum Yugurthinum,éd. Ernout, Paris , 1958 , XVII.

1- أحمد أبو زيد، "الرمز والأسطورة والبناء الاجتماعي"، مجلة عالم الفكر، العدد3-16، 1985.

ج- مذكرات ومجلات:

2- حنان حمودا، "الماء كمنشط أنثروبولوجي لإنتاج الطقوس"، مجلة إضافات، 2016.

3- حنان حمودا، الماء كمنشط أنثروبولوجي لإنتاج الطقوس بواحة سكورة جنوب المغرب، مجلة إضافات، جامعة محمد الخامس، الرباط، 2016.

قائمة المصادر والمراجع

- 4- شهيرة بو خوف، "أساطير و طقوس الاستسقاء واستقبال الربيع في منطقة خراطة ببجاية"، مذكرة لنيل درجة الماجستير تخصص أدب عربي، جامعة مولود معمري تيزي وزو، 2012.
- 5- علي زيدان خلف، "البنائية البريطانية وتطبيقاتها في الأنثروبولوجيا الاجتماعية"، العميد، المجلد 3، العدد 2، 2014.
- 6- عمر محمد نقرش، يحي سليم عيسى، "توظيف أسطورة شمشوم في النص المسرحي العربي"، مجلة شؤون إجتماعية، العدد 127، 2015.
- 7- عمران عبد الحميد، "الديانة المسيحية في المغرب القديم"، أطروحة دكتوراه في التاريخ القديم، جامعة منتوري قسنطينة، 2011.
- 8- فيلاي صالح، "الدين والمجتمع"، الباحث الاجتماعي، قسم علم اجتماع، جامعة منتوري قسنطينة، عدد 4، 2003.
- 9- منصف المحواشي، "الطقوس وجبروت الرموز"، مجلة إنسانيات، عدد 49، 2010.
- 10- ناجي عباس مطر، "الرقس الطقوسي، الطواف لترميم مركزية الذات"، مجلة كلية التربية، جامعة ذي قار، العدد التاسع والعشرون.
- 11- يونس الوكيل، "الجماعة و السحر" تراث الأنثروبولوجيا الفرنسية في تقدير الممارسة الفكرية لمارسل موس، قسم الفلسفة و العلوم الإنسانية، مؤمنون بلا حدود، 2016.

د- معاجم

- 1- ابن منظور، "لسان العرب"، المجلد الثالث، دار صادر، ط1، بيروت، 1992، مادة عقد.
- 2- ابن منظور، "لسان العرب"، المجلد 5، دار صادر، طبعة 1، بيروت، 2000.
- 3- ابن منظور، "لسان العرب المحيط"، ج7، 2003، مادة سطر.
- 4- أحمد مختار عمر، "معجم اللغة العربية المعاصر"، ج1، عالم الكتب، القاهرة، ط2008، 1، مادة طقس.
- 5- جميل صليبي، "المعجم الفلسفي"، ج1، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1982.
- 6- جميل صليبي، "المعجم الفلسفي"، ج2، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1982.
- 7- عبد الغني أبو العزم، "معجم الغني"، عين الشف، دار البيضاء، فهرسة وتنسيق فؤاد زكرانة، 2013، مادة طقس.
- 8- لييد بن ربيعة، "ديوان البيان"، ط 188، مكتبة الجاحظ والصحاح، (سحر).

قائمة المصادر والمراجع

9- مثنولوجيا أمازيغية، مكتبة وصال العربي.

10- محمد شفيق، "المعجم العربي الأمازيغي"، أكاديمية المملكة المغربية.

11- محمد عاطف غيث، "قاموس علم الاجتماع"، دار المعرف الجامعية.

هـ- المواقع الالكترونية:

1- <https://ar.m.wikipedia.org/wiki/>

2- <https://www.elearn.niv-ourgla.dz>

3- https://www.mondeberbere.com/religion/anzar/anzar_camps.htm

4- <https://www.wilaya-batna.gov.dz>

الفهرس

فهرس الموضوعات:

أ..... مقدمة

الفصل الأول: الإطار المنهجي والمفاهيمي أ

4..... تمهيد:

5..... ➤ الإشكالية:

6..... ➤ الفرضيات:

7..... ➤ أهداف الدراسة:

7..... ➤ أهمية الدراسة:

7..... ➤ أسباب اختيار الموضوع:

8..... ➤ تحديد مفاهيم الدراسة:

14..... ➤ الدراسات السابقة:

19..... ➤ التعقيب على الدراسات السابقة:

19..... ➤ المجال الزمني للدراسة:

19..... ➤ المجال المكاني للدراسة:

20..... ➤ المجال البشري للدراسة:

20..... ➤ منهج وأدوات الدراسة:

الفصل الثاني: المعتقدات الدينية والسحرية الأولى

24..... تمهيد:

25..... المبحث الأول: الدين في المجتمعات الأولى

25..... المطلب الأول: نشأة الدين

27..... المطلب الثاني: تطور المعتقدات الدينية

37..... المطلب الثالث: المكونات الأساسية للدين

39..... المبحث الثاني: بين السحر و الدين

39..... المطلب الأول: نشأة السحر

40..... المطلب الثاني: مبادئ السحر

43..... المطلب الثالث: المكونات الأساسية للسحر

الفصل الثالث: بين الأسطورة والطقس

| | |
|----|---------------------------------|
| 46 | تمهيد: |
| 47 | المبحث الأول: ماهية الأسطورة |
| 47 | المطلب الأول: نشأة الأسطورة |
| 49 | المطلب الثاني: أنواع الأسطورة |
| 51 | المطلب الثالث: خصائص الأسطورة |
| 52 | المطلب الرابع: وظائف الأسطورة |
| 54 | المبحث الثاني: مفاهيم حول الطقس |
| 54 | المطلب الأول: الطقس والأسطورة |
| 54 | المطلب الثاني: الطقس والمعتقد |
| 55 | المطلب الثالث: أنواع الطقوس |
| 57 | المطلب الرابع: وظائف الطقوس |

الفصل الرابع: أساطير وطقوس الاستمطار "تاسليث نو أنزار" والمعتقدات المرتبطة بها

| | |
|----|--|
| 60 | تمهيد: |
| 61 | المبحث الأول: تحليل الأساطير المرتبطة بطقس الاستمطار "تاسليث نو أنزار" |
| 61 | المطلب الأول: نص أسطورة "تاسليث نو أنزار" |
| 63 | المطلب الثاني: خصائص أسطورة "تاسليث نو أنزار" |
| 64 | المطلب الثالث: أسباب ضياع الأساطير في شمال إفريقيا |
| 66 | المبحث الثاني: تحليل الطقوس المرتبطة بطقس الاستمطار "تاسليث نو أنزار" |
| 66 | المطلب الأول: وصف طقوس الاستمطار "تاسليث نو أنزار" |
| 73 | المطلب الثاني: تحليل طقوس الإستمطار "تاسليث نو أنزار" |
| 75 | المطلب الثالث: طقوس الإستمطار و طقوس الزواج |
| 77 | خلاصة الدراسة: |
| 80 | خاتمة |
| 82 | قائمة المصادر والمراجع |
| 88 | فهرس الموضوعات |

ملخص:

يعتبر طقس "تاسليث نو أنزار" أو "تلغنجا" من أقدم طقوس طلب الغيث في شمال إفريقيا، وهو طقس ذو طابع ديني سحري تغلب عليه المعتقدات الماورائية، يعتبر هذا الطقس من الطقوس الدورية الكبرى التي يحاكي فيها البشر أفعال الآلهة في زمن البدايات، أي زمن الخلق. اقترن هذا الطقس بأسطورة تكوينية تفسر أصل ظاهرة طبيعية ألا وهي الجفاف. هذا الطقس هو بقايا لدين بدائي لربما يعود لنهاية العصر "النيوليتي" وبدايات العصر "الكالكوليتي"، كما لا يخلو هذا الطقس من الممارسات السحرية القائمة على المبدأ التشابهي. حيث اعتقد الإنسان الشمال افريقي أن محاكاة ما جرى في الأزمنة الأولى يساعد أسياد الطبيعة على القيام بعملها. ولاتزال رواسب هذه المعتقدات متبدية إلى اليوم في مناسبات الشمال افريقيين الاجتماعية.

الكلمات المفتاحية: معتقد، أسطورة، طقس، سحر، دين.

Summarization:

The "Taslith no Anzar" or "Telghenga" is one of the oldest rites of rainfall in North Africa, It is a ritual of a magical religious nature overcome by metaphysical beliefs, This is a ritual in which humans mimic the works of the gods at the beginning, the time of creation, This ritual is a major ritual in which humans mimic the acts of gods in the early days, "act of Creation", This ritual has a composition myth that explains the origin of a natural phenomenon "the drought", These rites are the remnants of primitive religion, possibly dating back to the end of the "Neolithic" period and the beginning of the "Calcutta" period, and These rituals are magical practices based on the "analogous principle".

The North African man believed that simulating what happened in the early times helps the natural masters to do their work. The residues of these beliefs are still prevalent today in North African social events.

Keywords: belief, myth, rite, magic, religion.